الفوائد الجلية

في تاريخ العائلة السنوسية

الحاكمة بليبيا

القسم الأول

لمؤلفها وجامعها

عبد المالك بن عبد القادر بن علي

١٣٨٦ - ١٩٦٦

مطبعة دار الجزائر العربية — دمشق مسكية

السعر ٣٥ قرش ليبي او مايعادله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلوات على نبي البركة والرحمات محمد سيد البريات صاحب الشفاعة والكوثر المُنادى يوم المحشر "يا محمد ارفع رأسك وسل تُعط ساكباً العبرات لهفاً على أمته" يا ربي أُمتي يا ربِي أُمتي" صلي اللهم وبارك عليه وعلى آل بيته الأطهار والصحب الكرام الأخيار وسلم تسليماً كثيرا ثم أما بعد.

لما رأيت أن شمس الحق لا يمكن أن يُحجبها غربال، وأن تاريخ الأمم والشعوب هو صفحة الخلود لمجد الآباء والأجداد قلبت في صفحات ماضينا القريب، فإذا به قد سطرته دماءُ زكية استرخصت أرواحها في سبيل رب البرية، وسيرة رجال أشاوس طلقوا الدنيا وطول الرقاد في سبيل حماية الوطن من كلِ عاد فأضحت سيرتهم نوراً وسراجاً منيرا للنشء والأحفاد.

هذا وقد شرح الله صدري لمطالعة سير الأبطال وتراجم الرجال فإذا بي أمام سيرة رجل عاش لربه طائعاً وعن حمى دينه ووطنه ذائداً وحسبك أن تأخذ سيرة الصالحين ممن عاصرهم بل عايشهم ورافقهم، فصاحب هذا الكتاب الذي بين يدي هو الشيخ عبد المالك بن عبد القادر بن علي الدرسي وقد نقل لنا صورة حية عن شخصية ذلك المجاهد البطل والذي لقبه في كتابه برئيس المجاهدين إنه السيد أحمد الشريف السنوسي حفيد مؤسس الحركة السنوسية في ليبيا المصلح المجدد الإمام محمد بن علي السنوسي الحسني ولقد بذل المؤلف جهداً لا نملك حياله إلا أن نقول: جزاه الله خيراً عن كل حرف سطره يراعه لينقل للجيل القادم أمجاد الأجداد وجهادهم الذي أوصل الوطن لنيل عزته واستقلاله.

ويجدر بي في هذا المقام أن أرجع فكرة نشر هذا السفر التاريخي القيم للأخ الأستاذ هشام بن غلبون والذي أهداني نسخة من الكتاب بهدف توثيقه في الشبكة العنكبوتية العالمية، والدّال على الخير كفاعله.

أهمية الكتاب

تكمن أهمية كتاب الفَوَائِدُ الجَلِيَّةُ في تَارِيخ العَائلة السَنُوسِيَّة في احتوائه على ترجمة لحياة مؤسس الحركة السنوسية الإمام محمد بن علي السنوسي والذي تعرضت سيرته للتهميش والتشويه والإهمال، وحسبنا أن نقف على شهادة واحد من أشهر علماء عصره وزمانه العالم الإمام أحمد بن إدريس العرائشي. هذا في القسم الأول من الكتاب، أما الجزء الثاني فقد اشتمل على سيرة السيد أحمد الشريف السنوسي والذي حفلت حياته بمواقف البطولة والفداء على المستوى الليبي الوطني الذي لم يكن في منأى عن الولاء للخلافة الإسلامية في عاصمتها "أسلام بول – استانبول" ثم الواجب الذي أخذه على عاتقه تجاه أمته الإسلامية، فقد شد من عزيمة الجيوش

العثمانية في حربها ضد القوات اليونانية المحتلة في الأناضول حتى كتب الله لها النصر وعاصر السيد احمد الشريف أكبر مصاب على يد القائد العسكري "مصطفى كمال أتاتورك" والذي قلب له ظهر المِجَّن معلناً سقوط الخلافة الإسلامية ورفع شعار العالمانية !! ثم ينتهي المُقام بالسيد الشريف بجوار جده المصطفى محمد بن عبد الله بالمدينة المنورة قائماً بالدعوة إلى الله ومؤدياً دور الإصلاح بين الزعامات السياسية المتنازعة في تلك الحقبة التي مرت بها الأمة العربية والإسلامية.

دوري في الكتاب

حاولت جهدي أن أقوم بالاختصار غير المُخِل لمحتويات النسخة الأصلية للكتاب، وإعادة صياغة بعض عباراته، والتركيز على ما اختص من أحداث بالشأن الليبي قدر المستطاع.

وأخيراً إذا كان المؤلف عبد المالك بن عبد القادر بن علي الدرسي قد أتم الكتاب في حضرة النبي المصطفى العدنان في المدينة المنورة حيث حط الرحال مع شيخه الضرغام أحمد الشريف السنوسي نزيل طيبة ثُم البقيع فإني أبتهل إلى مولاي أن ييسر لي نُزلاً في الحياة قبل الممات بجوار صاحب الوجه الأنور سيدنا رسول الله وأن يرزقنا شفاعته يوم المحشر والورود على حوضه والكوثر. وغايتي في تصنيف هذا الكتاب إماطة اللثام عن كل ما اكتنف سيرة وشخصية مؤسس الحركة السنوسية من لبس أو إبهام وأن أفي حق العالم المجاهد الجليل أحمد الشريف السنوسي وأنقل سيرة بطل جهلها الأكثرون وأراد طمس معالمها أناسٌ آخرون. لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

صلاح عبد العزيز

سويسرا - 1428 هجري – 2007 ميلادي

بِسْمِ الله الرَحمن الرَّحِيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي أوجد الخلق من العدم. وجعلهم شعوباً وقبائل وأُمم. والصلاة على الشفيع الأعظم سيد العرب والعجم سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وبعد. أتقدم إلى حضرات القراء الكرام بهذه العجالة المختصرة من تاريخ العائلة السنوسية الكريمة مجزأة إلى جزأين الأول منهما يشتمل على ترجمة حياة عميد العائلة ومؤسسها العظيم السيد محمد بن علي السنوسي من حين نشأته إلى وفاته وكل ما يتعلق برحلاته وتنقلاته وأعماله العظيمة الخالدة كما يشتمل على شيء يسير من تراجم حياة ابنيه الكريمين الإمامين العظيمين السيد محمد المهدي السنوسي وشقيقه السيد محمد الشريف السنوسي. والجزء الثاني يتعلق بذكر حياة الرجل الصالح والبطل المكافح رئيس المجاهدين وقاهر الكفرة المعتدين والذَّاب عن الإسلام والوطن الفاني في حب الله والمجاهد في سبيل الله السيد أحمد الشريف السنوسي. جمعتها وسميتها الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية وذلك لما رأيت أن أكثر الناس يجهلون حقيقة هذه العائلة المباركة ومبادئها الثابتة ومقاصدها الحسنة ويخوضون فيها بأمور شتى ويتلقفون عنها أخباراً وروايات تُنسب إليها متضاربة وملفقة ينقلونها ويروونها صحيحة ومكذوبة ويجهلون أصل النشأة وبدايتها وما قام به مؤسسها العظيم وحفدته الكرام من الأعمال النافعة للدين والوطن والبشرية جمعاء ويؤولون أفعالهم وجهادهم وطريقهم كل على حسب ميوله لهم وعليهم فاحتسبت أجري عند الله وبادرت بتسويد ما يطلع عليه حضرة القارئ الكريم معتمداً في ذلك على الله ومتحرياً فيما جمعته ذكر الحقائق، وتاركاً ذكر ما لم يتحقق أوفي ذكره ما يوجب اعتراض الخلق خصوصاً في هذا الزمن الذي تغيرت فيه المشارب وكثرت فيه الفتن وأصبح أكثر أهله لا يؤمنون برب ولا كتاب ولا يخافون من حساب أو عقاب. ليستزيد منه المحب الصادق ويستفيد منه الباحث الحاذق واستمد التوفيق والعون من الذي يقول للشيء كن فيكون.

المؤلف

مبدأ اسم السنوسي

أول من عُرف بهذا الاسم أحد الأئمة الهُداة الذين رفعوا لواء السُنة الغرّاء وحملوا مشعل العلم الشريف وأناروا طريقه لطلابه، الإمام السيد محمد بن يوسف السنوسي صاحب العقائد السنوسية في التوحيد، كان في زمانه حُجة ولعلمائه قُدوة ونال من الصلاح درجة عالية وشهد بفضله الخاص والعام، لذلك تبركاً باسمه سَمَّى بعض الناس أبناءهم باسمه وقد تربى هذا السيد الجليل ما بين قبيلة بني اسنوس وكلمة اسنوس مشتقة من اسم جبل أسنوس الذي يبعد عن بلدة تلمسان بلدة بالجزائر بمسافة يوم تقريباً وكان يسكن بهذا الجبل فخذ من قبيلة بربرية يُقال لها كوميه وأطلق على هذا الفخذ الساكن بالجبل اسم بني أسنوس ووُلِد السيد محمد بن يوسف بينهم وكبر واشتهر بالسنوسي نسبة إليهم وهو ليس منهم وفيما بعد درج الناس على التسمية باسمه وكان ممن سُميّ باسمه ابنٌ للجد الرابع للسيد محمد بن علي السنوسي سمّاه والده السيد عبد القادر بن السيد أحمد شهيده محمد السنوسي فكبر وتعلم ونال أيضاً من الصلاح والعلم والزهد والتقوى درجة رفيعة حتى كان إمام وقته وحافظ عصره وأُطلق عليه إمام المفسرين والمُحدثين في زمانه وهو أول من تسمى بالسنوسي في سلسلة آل خطاب الأشراف وتوفي هذا السيد الجليل في تلمسان ودُفن بها ولم يعقب خلفاً إلا أن أبناء إخوته بعده درجوا على تسمية أبنائهم باسمه حتى سُمي به السيد السنوسي جد السيد محمد بن علي السنوسي صاحب الترجمة.

نسب السيد محمد بن علي السنوسي

فهو محمد بن علي بن السيد السنوسي بن العربي الأطرش ابن محمد بن عبد القادر بن أحمد شهيده بن محمد شائب الذراع بن يوسف أبو ذهيبة ابن عبدالله بن خطّاب بن علي أبو العسل بن يحي بن راشد بن أحمد المُرابط بن مناداس بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيّان بن زين العابدين بن يوسف بن الحسن بن إدريس بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن د عبد الله بن حمزة بن سعيد بن يعقوب بن داوود بن حمزة بن علي بن عمران بن إدريس الأزهر الأصغر أمير المسلمين وباني مدينة فاس بن الإمام إدريس الأكبر أول ملوك السادة الأدارسة بالمغرب بن عبدالله الكامل بن الحسن المُثنى بن الإمام الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه وفاطمة الزهراء بِضعة المصطفى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشرف وكرم وعظم.

ولادة الإمام محمد بن علي السنوسي ونشأته

كانت ولادته صبيحة يوم الاثنين 12 ربيع الأول 1202 هجري الموافق 21 ديسمبر 1787 ميلادي. عند طلوع الفجر ولذلك سماه والده محمداً تيمناً باسم جده المصطفى صلى الله عليه

وسلم وكانت ولادته بضاحية مَيْثَا الواقعة على ضفة وادي شِلْف بمنطقة الواسطة التابعة لبلدة مُستغانم الجزائرية مقر أجداده السادة آل خطّاب وكان من قضاء الله وقدره أن تُوفي والده وعمره سنتان فقط كما أعقبته والدته بقليل وتركاه صغيراً فتولت كفالته عمته المصونة السيدة فاطمة الزهراء بنت السنوسي بن العربي بوصية من والده أخيها علي. وكانت عمته هذه من أشهر السيدات في عصرها علماً وأدباً وزهداً وصلاحاً وتقوى. وكانت تتصدر للإفادة والتدريس والإرشاد حسبما يحله الشرع الشريف كما كان يقصدها طلاب العلم الشريف من بلدان بعيدة للأخذ عنها والاستفادة منها فكانت خير مرشدٍ له ومربٍ وعندها حفظ القرآن الكريم وشيئاً كثيراً من المتون في علوم شتى.

شيوخه في القرآن

أولهم زوج عمته محمد بن قعمش الصغير الظهراوي وابنه عبد القادر وكانا عالمين جليلين صالحين ويشاركهما في تحفيظه القرآن محمد بن الخلفة ثم توفيت عمته وزوجها وبنوها ومحمد بن الخلفة في طاعون عام 1209 هجري – 1794 ميلادي. وعمره لم يتجاوز السابعة فكفله محمد السنوسي بن عمه عبد القادر بن السنوسي وذلك بإذن عمه المذكور عبد القاهر شقيق والده علي السنوسي فتمم على ابن عمه هذا حفظ القرآن الكريم برواياته السبع مع ما يلزمه من علم رسم الخط للمصحف والضبط كما قرأ عليه الرسالات الآتية: مورد الظمآن، المصباح، العقيلية، الندى، الجزرية، الهدية المرضية في القراءة المكية، حرز الأماني للشاطبي، وغيرها مما هومن وظائف قارئ القرآن وظهرت عليه النجابة كما تنبأت له بذلك جدته لوالده السيدة فاطمة وكانت من الصالحات الكبار أيضاً ثم بعد أن أتم ما يلزمه من لوازم حفظ القرآن وإتقانه شرع له ابن عمه هذا في العلوم العربية أولاً ثم الدينية بالتدرج دون أن يرهقه أو يدخل عليه شيئاً من السآمة أو الملل مع حضه له على العمل بما يتعلمه والتمسك بالسنة المطهرة دونما تفريط أو مغالاة، وسلوك مسلك أجداده العظام والتأسي بهم في الحقير والجليل مع تحذيره له من كل ما يبعده عن الله وترغيبه له في كل ما يقربه منه وكان يزوده بنبذ صالحة مفيدة عن سيرة أجداده الأئمة الأعلام وأعمالهم المجيدة ودرجاتهم الرفيعة وكيف نالوها حتى اشرأبت روحه الطاهرة إلى الأعمال الصالحة واطمأنت نفسه الكريمة إليها مع ترغيبه له على موالاة طلب العلم وحثه عليه ومساعدته له حتى نال منه قسطاً وافراً قَلّ مَنْ ناله في مثل سنه على ابن عمه هذا في مستغانم واختار الله هذا السيد الجليل إلى جواره الكريم بعد أن هيأ ابن عمه تهيئة صالحة مُرضية وكان سنه قد بلغ السابعة عشر سنة 1219 هجري – 1804 ميلادي. فجلس بعد ابن عمه يتلقى العلم على شيوخه في مُستغانم.

شيوخ الإمام محمد بن علي السنوسي في مُستغانم

منهم الشيخ الجليل محيَّ الدين بن شلهبه والشيخ محمد بن أبي زوينه ، والشيخ عبد القادر بن عمور المستغانمي ، والشيخ محمد القندوز ، ومحمد بن عبد الله المستغانمي ، والشيخ أحمد الطبولي الطرابلسي، وكلهم من فطاحل العلماء في زمانهم حيث مكث الإمام السنوسي يطلب العلم في مستغانم سنتين كاملتين.

شيوخه في ما زونه

وفي أول عام 1221 هجري 1806 ميلادي ، خرج من مستغانم إلى بلدة مازونه ومكث بها سنة واحدة حيث أخذ فيها عن هؤلاء الشيوخ وهم العلاّمة الجليل الشيخ محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الشارف المازوني ، والشيخ السيد أبو رأس العسكري ، والشيخ الوليد أبو المهل أبو زوينه ذي السند العالي وغيرهم ، ثم والى رحلته إلى مدينة تلمسان ومكث بها أيضاً ما يقارب من السنة وأخذ العلم عمن وجده فيها من شيوخها وبهذه البلدة مقام ابن جده الرابع السيد محمد السنوسي والذي ينتسبون إليه تباعاً ويتسمون باسمه وفي أواخر عام 1223 هجري 1809 ميلادي. رحل الإمام السنوسي إلى مدينة فاس المعمورة وبها مقام جد الأشراف الأدارسة السيد إدريس الأنور الأصغر وهو الذي بنا مدينة فاس. أمّا والده السيد إدريس الأكبر فهو في مدينة وُلِيْلِي قاعدة جبل زرهون فمكث في مدينة فاس سبع سنوات متوالية ، يطلب خلالها العلم في مسجد القرويين المُضاهي للجامع الأزهر بمصر.

شيوخه بفاس

وشيوخه بفاس هم الشيخ حمدون بن الحاج ، والشيخ الطيب الكيراني ، والشيخ أبوبكر بن زيان الإدريسي الجوطي ، والشيخ أبوالعلاء إدريس العراقي وابنه عبد الرحمن ، والشيخ محمد بن أبي بكر اليازعي ، والشيخ محمد بن عامر المعداني ، والشيخ محمد بن محمد بن عبد السلام بنّاني ، والشيخ أحمد بن المكي السدراتي شارح الموطأ ، والحافظ محمد بن عبد السلام الناصري وابنه محمد المدني والشيخ محمد بن منصور والشيخ محمد الزروالي ، والشيخ العربي بن محمد. وكان خلال هذه السبع سنوات يدْرُس ويُدّرِّس حتى فاق من وجده من الشيوخ والعلماء وأقر له الجميع بأنه فريد وقته وزينة عصره وأنه ممن ستفتخر بهم الأمة المحمدية كما رُشِح لمشيخة جامع القرويين رغم صغر سنه الذي كان لا يتجاوز 30 سنة فقط ولكنه لم يقبل هذا التقيد. وبعد أن نهل من معين شتى العلوم العقلية والنقلية وأخذها عن عموم مشايخ عصره في الديار المغربية وإجازتهم له بما لديهم، وأخذه عن السادة الصوفية كالشيخ أحمد التِجاني المتوفي في شوال سنة

1230هجري سبتمبر 1815 ميلادي. والشيخ محمد بن عبد السلام الناصري المتوفي في صفر سنة 1239 هجري أكتوبر 1823 ميلادي. وغيرهم.

الإمام محمد بن علي السنوسي

رحلته الأولى إلى الشرق العربي

تاقت نفسه العالية إلى الازدياد من تلقي العلوم على العلماء بمصر والحرمين الشريفين كما تشوق لأداء فريضة الحج فخرج من بلدة فاس رأساً مع ركب الحجاج عام 1230 هجري – 1815 ميلادي. ولم يتخلف عن ركب الحجاج حتى مكة وحج آخر عام 1230 هجري ديسمبر 1815 ميلادي. ومكث بها طيلة عام 1231 هجري يتلقى العلوم على أكابر شيوخ وعلماء العصر بمكة.

شيوخه بمكة

منهم الشيخ عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار المكي والشيخ عبد الحفيظ العجيمي والشيخ محمد عابد السندي والشيخ حسن بن عبد الله العطّار والشيخ عبد الرحمن بن يوسف المدني والشيخ ياسين المرغني والشيخ محمد صالح الرئيس والشيخ محمد السلمي الشافعي والشيخ محمد البناني والشيخ محمد القابسي المالكي والشيخ محمد الهدبيني والشيخ محمد بن عبد الله الفخري.

شيوخه من أهل المدينة

الشيخ صالح البدري ، والشيخ عبد الرحمن الأنصاري ، والشيخ محمد سفر بن محمد سفر مُسند الحجاز وراويه ، والشيخ عبد الباقي الشعّاب ، والشيخ محمد بن الحاج المغيربي ، والشيخ محمد بن عبد الله المجدوب.

ومن أهل اليمن

السيد يوسف البطاح الأهدل، والشيخ يوسف الأمير الصنعاني والشيخ محمد العمراني الصنعاني، والشيخ محمد بن سليمان قاضي مخا ، والشيخ محمد بن سليمان الأهدل قاضي زبيد ، والسيد الحازمي ، والشيخ محمد عاكش الصبياني.

ومن الوافدين إلى الحرمين

الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الشريف الحسني ، والشيخ أحمد بن عبد الله الشريف الجزيري، والشيخ محمد البشير البجاوي التلمساني ، ولم يُكتب لسيادته الاجتماع بالإمام العظيم السيد أحمد بن إدريس العرائشي حيث كان السيد أحمد في هذه السنة قد خرج من مكة إلى الصعيد بمصر وفي نهاية عام 1231 هجري نوفمبر 1816 ميلادي. حج ورجع أول عام 1232 هجري

صحبة ركب الحجاج إلى مصر ومكث بها بقية عام 1232 هجري نوفمبر 1817 ميلادي. يتلقى المزيد من العلوم على بعض خواص العلماء بها.

شيوخه بمصر

أولهم الشيخ علي الميلي التونسي ، والشيخ ثعيلب الضرير ، والشيخ محمد الصاوي من المالكية ، والشيخ العطار والقويني والنجار من الشافعية ، والشيخ محمد الأمير الصغير.

عودته إلى فاس

وفي أول عام1233هجري نوفمبر 1817 ميلادي. خرج من القاهرة صحبة ركب الحجاج ورافقهم عائداً إلى فاس ومكث بها مدة لا تزيد على الستة أشهر وهنا هيأه الله للنفع والإرشاد ونفع العباد بدلالاتهم على الله فخرج من مدينة فاس أواخر عام 1233 هجري أكتوبر 1818 ميلادي. وتوجه رأساً إلى مدينة الأغواط الواقعة في آخر الحدود الجزائرية من جهة الصحراء الكبرى وهذه البلدة هي مفتاح الصحراء الكبرى وهي ملتقى هام لكل من يأتي إلى صحراء شنقيط من مراكش والجزائر فجلس فيها ما يقرب من نصف سنة تصدى خلالها للتدريس والوعظ والإرشاد حتى استفادت منه أممٌ كثيرة وتعلقوا به، وممن أخذ عنه بالأغواط ورافقه تلميذه الخاص وكبير إخوانه على الإطلاق الشيخ عبد الله التواتي دفين بدر.

عودته إلى مستغانم

ثم حنَّ إلى موقع رأسه الشريف فرجع إلى مستغانم أول عام 1234 هجري ديسمبر 1818 ميلادي. ومكث بها قريباً من سنة ونصف بين أهله وعشيرته وأقاربه وتزوج خلال هذه المدة وأنجب مولوداً وتُوفي صغيراً كما توفيت والدته بعده نخفف حِملُهُ رضي الله عنه وعَنَّ لسيادته القيام برحلة إلى المشرق لموالاة الوعظ والإرشاد ونفع العباد ونشر العلوم المفيدة والدعوة إلى الله بالطريقة الحقيقية. فخرج من مستغانم رغم تعلق أهله وعشيرته به بغية بقائه بينهم غير أن نفسه الكبيرة الطموحة أبت عليه ذلك فتوجه وواصل سفره إلى بلدة جلفه منتصف عام 1235 هجري مايو 1820ميلادي. ومكث بها قليلاً ثم والى رحلته إلى أبوسعادة ومنها إلى حدود تونس ثم واصل رحلته إلى قابس في الأراضي التونسية وبعد إقامته بها يسيراً عطف على مدينة تونس ومكث بها مدة أسابيع قلائل ودخل مسجد الزيتونة بتونس وأخذ عن بعض كبار علمائها وتردد عليهم كما أخذ عنه بعضهم وطلبوا منه إلقاء بعض الدروس فلّبى طلبهم.

الإمام السنوسي في طرابلس

وفي آخر عام 1235 هجري سبتمبر 1820 ميلادي. توجه إلى مدينة طرابلس الغرب فدخلها في آخر هذا العام وكان ذلك إبّان حكم يوسف باشا القرمانلي في شهر أكتوبر 1820 ميلادي.

وقد استقل يوسف القرمانلي عن الدولة العثمانية فأكرم نزله ومكث في مدينة طرابلس وضواحيها مدة للوعظ والإرشاد ونفع العباد ولم يترك مسجداً معروفاً إلا دخله ودرّس فيه وأرشد ، وكان أغلب نزوله وإقامته عند الشيخ أحمد باشا المنتصر الذي تعرف عليه وتعلق به وأصبح هو وأبناؤه فيما بعد هم النائبون عنه في طرابلس ونالوا بذلك خيراً كثيراً وأحمد باشا المنتصر هو جد الشاعر الأديب الأستاذ أحمد ضياء الدين بن عمر باشا بن أحمد باشا المنتصر، ووالى رحلته إلى بلدة ازليتن بلاد الأشراف الفواتير والمدفون بها الولي الكبير الشيخ عبد السلام الأسمر رحمه الله فمكث فيها ودرّس في مسجد الشيخ مدة من الزمن ثم تقدم إلى بلدة مصراته وبها المشايخ السادة المحاجيب ومقام الشيخ أحمد الزروق رحمه الله فنزل عند السادة المحاجيب في زاويتهم المعروفة هنالك وأقام في مصراطه زيادة عن السنة وجملة مدة إقامته ما بين طرابلس وازليتن ومصراته سنتان قضاها في الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله ولذلك سبقت العناية لأهل تلك الجهة وتعلقوا بسيادته وجُل إخوانه الأولون ومن عليهم المعول في الحضرة السنوسية من مصراته وازليتن ومقاطعات طرابلس وهم " آل المحجوب وآل الأشهب وآل الدردني وآل السيد عمران بن بركة وآل بوسيف وآل بن فرج الله " وغيرهم. ودخل الخلوة في زاوية السادة المحاجيب ودرّس فيها.

مناسبة: كان السيد رحمه الله في غاية من الجمال الخَلقي فضلاً عن الخُلُقي وكان في عنفوان شبابه وصادف أن كان يوماً من الأيام يُلقي درساً في زاوية السادة المحاجيب هذه وكان من بين المستمعين رجلٌ ذو مكانة يُحدِّق بنظره إلى السيد طيلة الدرس وخطر في باله أن هذا الجمال الفائق لا يسلم من كونه وقع منه أوعليه ووسوس له الشيطان أموراً معروفة فبعد أن أتم الدرس وقام الحاضرون حسب العادة المتبعة يسلمون على يده الشريفة للانصراف وأتى هذا الرجل للتسليم عليه فقبض على يده وأجلسه بجنبه حتى خرج الناس ثم التفت إليه وقال له : يا أخي إن الذي حفظنا في الكِبَر حفظنا في الصَغُر فخجل هذا الرجل وعّدّ أن هذه كرامة لهذا السيد الجليل عظيمة.

حاشية: عائلة القرمانلي بطرابلس الغرب

في سنة 1123 هجري 1711 ميلادي وثب المدعو أحمد بك القرمانلي أحد جنود الانكشارية - ومعنى الانكشارية الغزاة العثمانيون - على والي طرابلس الغرب المُسمى محمد أميس فعزله بمساعدة الجنود وتولى الحكم في طرابلس الغرب بدله وكانت في أحمد القرمانلي جرأة وحسب للعدل والإنصاف فتحبب إلى الجند والأهالي وبذل جهوداً كبيرة في الإصلاحات العامة وأول عمل اشتهر به هو محاربته لخليل باشا الذي كان قدم من الأستانة والياً لطرابلس بأمرٍ

سُلطاني فتنكر له أحمد القرمانلي ومنعه من دخول البلدة فدارت بينهما حروب شديدة قُتل في آخرها خليل باشا وفر من بقي ممن معه بأسطولهم ورجعوا إلى الأستانة فغضب السلطان أحمد الثالث بن محمد بن إبراهيم الذي كان مشغولاً في وقته بمحاربة الروس والنمسا فأرسل المُسمى محمد باشا جانم خوجه للتحقيق في موضوع قتل خليل باشا فقابله أحمد القرمانلي وأخفى عليه كل شيء ومنع الناس من مقابلته وفي نفس الوقت أكرمه فرجع دون أن يتحصل على نتيجة واستمرت ولاية أحمد القرمانلي فأتاه فرمان من السلطان أحمد المذكور وبذلك تمت ولايته ونفذت كلمته ثم ثار عليه أهالي بلدة تاجورا وأهالي مسلاته وشقوا عصا الطاعة فحاربهم حتى أذعنوا ورجعوا إلى طاعته والانصياع لأمره وفي زمن ولاية أحمد القرمانلي ثار المدعوعلي بن عبد الله بن عبد النبي الصنهاجي وعاث في الأرض فساداً ثم توجه إلى جهة برقة والجبل الأخضر فنهب خراج واحة أوجلة وأتعب الأهالي فأرسل إليه أحمد القرمانلي قوة من جيشه والتقى الجمعان ودارت الحرب بينهم فكان النصر حليف قوات القرمانلي وقُتِل الصنهاجي مع أغلب أتباعه وفي نفس السنة عقد أحمد القرمانلي لأخيه الحاج شعبان آغا وولاه على برقة والجبل الأخضر وبعث معه قوة عسكرية يرأسها المدعوإبراهيم الترياكي ومعه الشيخ علي الأدغم وبعد مدة من الزمن خرج قائد الجيش "إبراهيم الترياكي" عن طاعة الحاج شعبان وقبض عليه في بلدة درنة وساعده في ذلك الشيخ "علي الأدغم" ثم رجع الإثنان من بلدة درنة متوجهين إلى الجبل الأخضر ومنه إلى بنغازي مروراً بسرت ومصراته و- كلما مروا بقبيلة أوبلاد طالبوها بمتابعتهم وغرضهم هوخلع أحمد باشا القرمانلي فلما قربوا من مدينة طرابلس خرج إليهم القرمانلي وحاربهم وشتت شملهم واستولى على كل ما معهم فشرد الأدغم إلى أرض مصر وأما الترياكي فقد هرب إلى قبيلة المحاميد وجمع أوباشاً معه وعاد ثانياً إلى الفساد فأرسل إليه أحمد القرمانلي قوة بقيادة إبراهيم بك فحاربه حتى قضى عليه وعلى من معه وبهذه الإنتصارات قويت شوكة أحمد القرمانلي وعلا صيته بين المدن والقبائل وفعلاً أجرى إصلاحات هامة في مدن طرابلس فبنى المساجد والمدارس والقلاع ودامت ولايته 35 عاماً وكانت وفاته سنة 1158 هجري - 1745 ميلادي وكان أثناء فترة حكمه قد طلب فرماناً من الباب العالي بتولية ابنه محمد باشا بعده فتولى محمد باشا القرمانلي بعد أبيه أحمد وكانت البلاد مهددة ولم يحدث في عهده تشويش إلا أنه غلط وعقد معاهدة مع الإنجليز بدون إخبار أو وساطة الباب العالي واجتهد في تقوية أسطوله الحربي فقوي وكانت له هيبة عظيمة في حوض البحر الأبيض ودامت ولايته تسعة أعوام ثم تُوفي سنة 1167 هجري - 1754 ميلادي. فتولى بعده ابنه علي باشا القرمانلي فسار بسيرة جده أحمد وضبط البلاد وحال دون الفساد واستراحت الناس مدة

من الزمن ثم في آخر ولايته مال إلى الراحة وأهمل البلاد فكثر فيها الفساد والنهب والسلب وساءت الحالة جداً فاضطر بعض الأهالي إلى الشكوى ورفع الأمر إلى الباب العالي لإغاثتهم بمن يقوم بأمر البلاد.

جبروت يوسف القرمانلي وطغيانه.

سمع يوسف بيك أصغر أولاد على باشا القرمانلي بأمر الإستغاثة بالباب العالي وخشي أن يأتي ضابط من الأستانة فيأخذ منهم الولاية. فقصد الشيخ خليفة بن عون المحمودي شيخ قبيلة النويرات وطلب منه معاضدته للوصول إلى الحكم وعزل والده لأنه كبر وأصبح عاجزاً عن القيام بأمور الولاية فوافقه المحمودي وجمع جموعه وأتى معه لحصار مدينة طرابلس. ولما وصل يوسف القرمانلي القلعة دخل على أخيه حسن بيك ليقتله فمنعته أُمه. فقطع يديها وقتل أخاه وشدد الحصار على والده ! وفي هذه الفترة قدم من الأستانة علي بُرغل باشا والياً لطرابلس بأمر السلطان العثماني. وفوجئ يوسف بيك بوصول علي بُرغل باشا كما أسقط والده المُحاصر في يده. وفكروا في محاربة القادم. ولكنهم وجدوا أنفسهم غير قادرين على محاربته. فقرروا الخروج جميعاً من طرابلس هاربين إلى تونس وفي صحبتهم الأخ الأكبر أحمد بيك القرمانلي فأكرمهم والي تونس حمودة باشا وبعد مضي فترة من الزمن أرسل والي طرابلس علي برغل باشا حملة إلى بلدة جِربة فاستولى عليها. وقد كانت تابعة لولاية تونس فغضب والي تونس حمودة باشا وجهز حملة كبيرة وأرسلها لمحاربة علي بُرغل باشا وأرسل مع الحملة أبناء علي باشا القرمانلي يوسف بيك وأحمد بيك فخرجت الحملة من تونس وكلما مرت ببلدة أو قرية أو قبيلة هددتها بالحرب إن لم تستسلم وتذعن لأمرهم.

وصلت الحملة إلى ولاية طرابلس واشتدت الحرب فيها بين الفريقين ثم أحس علي برغل بالهزيمة فشرد وترك الولاية وعمد إلى مصر وسُلِمت البلد لقائد الحملة مصطفى خوجة وقد نصب مصطفى خوجة بدوره أكبر أولاد علي باشا القرمانلي أحمد بيك والياً لطرابلس وبذلك عادت ولاية طرابلس لآل القرمانلي. ولم تدم ولاية علي برغل إلا سنتين فقط ثم نصب مصطفى خوجة أيضاً يوسف بك القرمانلي أميراً للعُربان تابعاً لأخيه أحمد بيك فدامت ولاية أحمد بيك القرمانلي سنة واحدة فقط حيث انقلب عليه أخوه يوسف وعزله وأودعه السجن وتولى الولاية بعده وذلك سنة 1210 هجري 1795 ميلادي.

يوسف باشا والياً على طرابلس

كان يوسف متمتعاً بجرأة وشدة بأس فهابته الأهالي والجنود واستقامت ولايتهم راسل والي تونس وطلب منه التوسط لدى مقام الخلافة للموافقة على ولايته لطرابلس فتوسط له وتمت

الموافقة من الباب العالي فجدّ يوسف واجتهد ورتب الأمور وساس البلاد وتتبع الأشرار وأجرى إصلاحات عظيمة وأصلح الأسطول وزاده حتى بلغ 13 أسطولاً يجوب البحار وهابته السفن الأجنبية وبنى أبراجا وقلاعاً حصينة وعمرّ أسواقاً ومهد طرقاً وازدهرت البلاد في أول ولايته ووسطها

يوسف القرمانلي يعين نابليون بونابرت على احتلال مصر!!

وفي عهده أحتل نابليون بونابرت مصر سنة 1213 هجري 1798 ميلادي. وكانت بين يوسف ونابليون صداقة ولذلك ساعده على غزومصر ببعض أساطيله مقابل ذلك وقف نابليون دائماً في صف يوسف القرمانلي عندما وقعت مناوشات حربية بينه وبين الأسبان والجنويين الإيطاليين واليونان والإنجليز وخلال ولاية يوسف باشا هاجمت البحرية الأمريكية لأول مرة سواحل طرابلس الغرب، وقد كان أخوه أحمد بيك المعزول قد فرّ من السجن ولحق بجزيرة مالطة. فانتهز الأمريكان الفرصة واتصلوا بأحمد بيك وجهزوه بحملة وأنزلوه بساحل مدينة درنة مزوداً بقوة من جنود البحرية الأمريكية وذلك سنة 1217 هجري 1802 ميلادي. ففرح الأهالي ورحبوا بمقدم أحمد بيك القرمانلي خاصة بعد أن قطع الأمريكان على أنفسهم عهداً بمساعدته حتى يستعيد حُكمَه من أخيه يوسف باشا فاحتال يوسف ووسّط والي الجزائر حسن بيك كما وسّطَ قنصل بريطانيا في طرابلس للمصالحة مع الأمريكان ونجحت الوساطة وعُقدت معاهدة صًلح بين يوسف القرمانلي والأمريكان وبموجبها أقلعت السفن الأمريكية عن درنة بعد أن نقضوا عهدهم مع أخيه أحمد بيك واصطحبوه معهم إلى الإسكندرية ثم أهملوه بها

يوسف القرمانلي يخضع برقة وفزان لسلطته

أرسل يوسف باشا ابنه محمد بيك في جيش كبير لمقاومة عمه أحمد بيك فوصل هذا الجيش إلى درنة بعد أن انسحبت سفن الأمريكان منها ووفدت إليه العُربان والقبائل حيث جددوا البيعة لوالده يوسف باشا. وفي زمن ولاية يوسف باشا تمرد أهل غريان فنبذوا أوامره فأدبهم وأبادهم ، كما ثار الشيخ أحمد سيف النصر سنة 1221 هجري 1806 ميلادي، ونبذ الطاعة وتعرض لبعض السفن في البحر فأرسل إليه يوسف باشا ابنه محمد بيك وحاربه وقتله وأخذ ابنه عبد الجليل سيف النصر أسيراً إلى طرابلس وثار أيضاً أهل مدينة غدامس وعصوا فحاربهم وأجبرهم على الخضوع وفي سنة 1227 هجري 1812ميلادي. امتنع حاكم فزان محمد الشريف عن دفع الزكاة والضرائب فأرسل إليه يوسف باشا محمد المكنى ولما قارب فزان اتصل محمد المُكنى بابن أخي حاكم فزان وقال له: إن تحايلت في قتل عمك وليتك وجعلتك مكانه فذهب

هذا واحتال على عمه وقتله غيلة. ولما دخل المكنى فزان طلب القاتل وأوعز إلى بعض أقربائه بأن يطالبوه بدمه. وأحضروا الشهود فسلمه لهم وقتلوه "وهكذا تفعل الحكام".

نهاية حكم آل القرمانلي

بعد أن طالت مدة حكم يوسف باشا وكبر وضعف جسمه وقل تفكيره. اختلت أموره وتجاسرت عليه الدول والقبائل كما ثار عليه الشيخ عبد الجليل سيف النصر سنة 1242 هجرية 1827ميلادي. وثار عليه كذلك أهل الجبل الغربي وبدأت الأمور لديه تتفاقم حيث ناوشته حكومة نابولي وسردينية وجينوة وأسبانيا وفرنسا وبريطانيا : كلهم اتفقوا على التسلط عليه والحد من سطوته و- في نفس الوقت نفد ما بيده من الخزانة فاضطر إلى تحميل الأهالي ما لا يُطيقون من الضرائب وقسم الولاية بين أولاده فأعطى لأبنه علي الكبير غريان ولأبنه مصطفى بيك مصراته ولإبنه عثمان مدينة الخمس ولابنه عمر ورفلة ولابنه إبراهيم ازليتن ولمملوكه مصطفى بيك درنة فأصبح كل فرد من أولاده يعمل خلاف المصلحة العامة للبلاد فساءت الحالة العامة جداً وثار أهل المنشية على يوسف باشا ومعهم ولده محمد بيك واستغلت الدول الأجنبية ضعف سلطته وسقطت هيبته في قلوب القبائل فتنازل لأبنه علي بيك سنة 1249 هجرية 1833ميلادي. بعد أن دام حكمه 39 سنة. فازداد الثوار عتواً ونفورا وكان قد وصل إلى طرابلس شاكر أفندي موفداً من قبل السلطان لـ علي بيك الذي تنازل له والده، ولكن شاكر أفندي وجد البلاد في حالة فوضى ووجد عموم الأهالي مُصرين على التخلص من عائلة القرمانلي، فرجع إلى استانبول وأخبر السلطان محمود الأول بن عبد المجيد الأول بحالة البلاد فعين الفريق نجيب باشا والياً لولاية طرابلس الغرب فقدم إليها ومعه اثنان وعشرون أسطولا حربياً محملة بالجنود والمعدات والأرزاق فاحتفل علي بيك بقدومه أولاً ثم بعد شهر طلب نجيب باشا علي القرمانلي إلى إحدى المراكب باسم الضيافة فلما وصل إليه أمر بإلقاء القبض عليه ونزل بجنوده إلى البر وأعلن ولايته لطرابلس ثم قرأ الفرمان السلطاني بتوليته ففرح الناس فرحاً شديداً ولما سمع محمد بيك بن يوسف باشا بمصير أخيه علي القرمانلي أقدم على قتل نفسه !! وفر أخوه أحمد بيك يوسف إلى مالطة. وأما علي القرمانلي وأتباعه فقد أرسلهم نجيب باشا إلى استانبول. وبذلك انطوت صحيفة القرمانليين وانتهى حكمهم سنة 1251هجرية 1835ميلادي. وذلك بعد أن دام قرابة 126سنة. وسبحان من لا يزول حكمه وسلطانه.

رحلة الإمام السنوسي الأولى إلى برقة ومصر

في أول عام 1238 هجري 1822 ميلاد، أستأنف رحلته إلى برقة وقبل وصوله إلى مدينة إجدابيا مر على نجع شيخ قبيلة المغاربة الشيخ علي لطيوش فأكرم نُزله وقام بخدمته خير قيام

دون سابق معرفة ورافقه إلى إجدابيا وجهزه إلى واحة أوجلة فنال بذلك خيراً لم يزل أثره في عقبه ولم يمر السيد السنوسي في رحلته هذه على مدينة بنغازي ولا على المدن الساحلية بل توجه إلى أوجلة وزار صاحب رسول الله عبدالله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه وفاز بمعرفته أهل أوجلة قبل غيرهم ومنهم الشيخ عمر بوحوا الأوجلي تعرف عليه وأخذ عنه العلم الشرعي ولحقه بعد ذلك في الحجاز ولم يرافقه في طريقه هذه سوى مملوك لسيادته والسيد عبدالله التواتي الذي لازمه ولم يفارقه منذ أن تعرف عليه، وأخذ عنه في مدينة الأغواط الجزائرية، وكان الشيخ محمد بن علي السنوسي يتنقل مع بعض القوافل ويرافقها من مكان إلى آخر حتى وصل إلى مدينة القاهرة عن طريق الصحراء، وبمروره على قبيلة المغاربة ونزوله بإجدابيا تعرف عليه كثير من أهالي برقة البيضاء وشاع ذكره الطيب في عموم برقة، وتحسر الكثير لعدم رؤيته وكان وصوله إلى القاهرة متوسط عام 1238 هجري 1823 ميلادي. إبان حكم محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية بمصر فنزل في بعض أروقة الجامع الأزهر لكونه لم يظهر أمره بعد وفعلاً لم يشتهر إلا بعد اجتماعه بأستاذه السيد أحمد بن إدريس العرائشي وأخذ العلم عنه في مكة كما سيتضح فيما بعد ثم قام بزيارة شيوخه الذين كان قد أخذ عنهم العلم عام 1232 هجري 1817 ميلادي كما تقدم ذكرهم وتردد على حلقات كبار المشايخ أولاً ثم أخذ عن بعضهم وبدأ يشاركهم في التدريس حُسبة لله وسمع به طلبة العلم فلم يتخلف أحدٌ ممن سمع به حيث وجدوا عنده ضالتهم التي ينشدونها وتغربوا من أجلها وبعد إقامته بمصر قرابة سنتين ونصف والى رحلته إلى مكة المكرمة عن طريق الحاجّ الصحراوية وبصحبته حُجاج عام 1241 هجري - 1826 ميلادي. فمر على المحطات الآتية: البركة والبويب ثم عجرد ثم النواطير الأول والثاني والثالث وكلها أنصاب في صحراء سيناء الرملية، فالعلوة، فجنادل حسن، فقرية نخل ثم بئر قريص، ويُقال لها بئر طابة ثم أيله وهي إيلات مدين فالعقبة فحقل ثم الشرفا فمغاير شعيب وعيون القصب ثم المويلح ثم سلمى فاصطبل عنتر ثم الوجه فعكرة والحنك فالحوراء فالخضيرة فينبع البحر ثم الشعيفة فمستورة فرابغ فبئر الهندي ثم القضيمة فخليص فعسفان فقديد فمر الظهران فمكة المكرمة وما بين مكة ومر الظهران مقام أم المؤمنين سيدتنا ميمونة الهلالية رضي الله عنها في منتصف الطريق، وكذلك قبل دخول مكة بنحو خمسة فراسخ توجد قرية التنعيم وهي محل العُمرة بالنسبة لسكان مكة وهذا المكان هو الذي اعتمرت منه أم المؤمنين سيدتنا عائشة ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنها وما بين التنعيم ومكة محل يُسمى في الوقت الحاضر الشهداء وهذا المكان هو فخ الذي وقعت فيه مقتلة الحسنين سلالة الحسن بن علي بن أبي طالب أيام الخليفة محمد الهادي العباسي والتي بسببها فرّ السيد إدريس الأكبر ابن عبد الله الكامل إلى

المغرب وكانت فاجعة عظيمة فني فيها الكثير من الحسنيين والحسينيين سلالة الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين.

وصوله إلى مكة المكرمة

كان وصول السيد محمد بن علي السنوسي إلى مكة المكرمة في النصف الأول من شهر ذي القعدة عام 1241 هجري – 1826 ميلادي. وكان السيد السنوسي قد نذر لله تعالى وقف نفسه الشريفة على خدمة الكعبة المشرفة إذا سخر الله له وعاد إليها تقرباً إلى الله تعالى وتواضعاً له ومجاهدة لنفسه الشريفة وكان عازماً على المضي في ذلك غير أن الله تعالى رفع قدره الشريف وهيأه لما هو أعم وأنفع ومن تواضع لله رفعه، فاجتمع بعد وصوله مكة المكرمة بنخبة العلماء والأولياء الجامع ما بين الطريقة والحقيقة مُربي المريدين ومُحي سنة جده الأمين ذي المدد النفيس السيد أحمد بن عبد الله بن إدريس رحمه الله فأخذ عنه وانقطع إليه بعد أن قام بوفاء نذره واشترك في خدمة الحرم الشريف بقدر ما يسر الله له.

ولادة السيد الإمام أحمد بن إدريس ونشأته

كانت ولادة هذا الحَبرُ العظيم عام 1163 هجري 1750 ميلادي. ببلدة ميسور أو ببلدة العرائش التابعة لسلطنة فاس ومراكش وكان لهذا الإمام العظيم شأن كبير حيث نشأ أولاً في موقع رأسه الشريف "العرائش" وبعد أن ترعرع وحفظ القرآن العظيم وكثيراً من المتون ونال قسطاً وافراً من العلوم وبلغ العشرين من عمره انتقل إلى بلدة فاس عاصمة السلطنة المغربية إذ ذاك وانتسب إلى جامع القرويين بها، ومكث يطلب العلم أولاً ثم يدرِّس ثانياً نحواً من ثلاثين عاماً إلا أنه كان يرحل أحياناً أثناء دراسته هذه إلى بعض الشيوخ الكبار في بعض ملحقات فاس للأخذ عنهم، ولم يترك في زمنه أحداً من الشيوخ المعتبرين والذين عاصرهم إلا ورحل إليه وأخذ عنه العلم وهؤلاء شيوخه رضي الله عنه وعنهم.

شيوخ الإمام أحمد بن عبدالله بن إدريس بفاس وبلاد المغرب

أولهم الإمام المُحدث الكبير الشيخ محمد التاودي بن سودة المتوفي سنة 1209 هجري 1795 ميلادي. والشيخ محمد أبوعبد الكريم الذهبي المتوفي سنة 1199 هجري. 1785 ميلادي. والشيخ عبد القادر بن أحمد العربي بن شقرون المتوفي سنة 1216 هجري 1801 ميلادي. والشيخ المجيدري الشنقيطي، وكان شيخه في السلوك أولاً ثم كان خاتمهم بفاس الشيخ الكبير عبد الوهاب التازي وهوالذي تمّ أمره وعلا شأنه على يده إذ كان عمدته في كافة مروياته، وكان الشيخ عبد الوهاب التازي - قبل أن يعرفه السيد أحمد بن إدريس - يحضر كمستمع في حلقة السيد أحمد بن إدريس وكان يعجبه صوته كما تعجبه طريقة تدريسه، وكان السيد أحمد

بن إدريس يرجع في أموره ومشاوراته وسلوكه إلى الشيخ المجيدري الشنقيطي، وكان المجيدري تلميذاً للشيخ عبد الوهاب التازي وصادف أن عرضت مسألة للسيد أحمد بن إدريس فاستشار فيها شيخه المجيدري فقال له : حتى أشاور شيخي التازي فقال له السيد أحمد بن إدريس ألك شيخ أكبر منك؟ قال نعم! شيخي وعمدتي هو الشيخ عبد الوهاب التازي ، فقال له: إذن اجمعني به فأتى المجيدري إلى التازي وأخبره فقال له ذات مرة: ليأتيني. فجاءه الإمام أحمد بن إدريس وأخذ عنه العلم وانقطع له كلياً، وكان يلازم طريقة الحياء معه ولا يرفع صوته عنده فكان الشيخ التازي يقول له أحياناً: وين تلك الهدرة يا أحمد ويعني بذلك نبرات صوته لما كان يُدرِّس ببلدة تازة من بلدان المغرب الأقصى قرب حدود الجزائر، وكانت مدينة علم ورخاء ولا تزال كذلك. وبعد ملازمة السيد أحمد بن إدريس للشيخ عبد الوهاب التازي مدة مباركة قدر الله وتُوفي رحمه الله. وبعد وفاة العلاَّمة التازي لازم السيد أحمد بن إدريس الشيخ أبا القاسم الوزير، وكان من الصالحين الكبار وذوي المقامات العالية إلا أنه كان متستراً غير أن المدة لم تطل، فتوفي الشيخ أبو القاسم الوزير، وبعد وفاته عقد السيد أحمد بن إدريس العزم على التوجه إلى جهة المشرق والحجاز ليتزود بعلوم أكثر وليقضي فرضه ويتشرف بزيارة جده الأعظم سيدنا محمد وليهاجر إلى الحرمين الشريفين.

رحلة الإمام السنوسي الأولى إلى برقة ومصر

في أول عام 1238 هجري – 1822 – ميلاد، أستأنف رحلته إلى برقة وقبل وصوله إلى مدينة إجدابيا مر على نجع شيخ قبيلة المغاربة الشيخ علي لطيوش فأكرم نُزله وقام بخدمته خير قيام دون سابق معرفة ورافقه إلى إجدابيا وجهزه إلى واحة أوجلة فنال بذلك خيراً لم يزل أثره في عقبه ولم يمر السيد السنوسي في رحلته هذه على مدينة بنغازي ولا على المدن الساحلية بل توجه إلى أوجلة وزار صاحب رسول الله عبدالله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه وفاز بمعرفته أهل أوجلة قبل غيرهم ومنهم الشيخ عمر بوحوا الأوجلي تعرف عليه وأخذ عنه العلم الشرعي ولحقه بعد ذلك في الحجاز ولم يرافقه في طريقه هذه سوى مملوك لسيادته والسيد عبدالله التواتي الذي لازمه ولم يفارقه منذ أن تعرف عليه، وأخذ عنه في مدينة الأغواط الجزائرية، وكان الشيخ محمد بن علي السنوسي يتنقل مع بعض القوافل ويرافقها من مكان إلى آخر حتى وصل إلى مدينة القاهرة عن طريق الصحراء، وبمروره على قبيلة المغاربة ونزوله بإجدابيا تعرف عليه كثير من أهالي برقة البيضاء وشاع ذكره الطيب في عموم برقة، وتحسر الكثير لعدم رؤيته وكان وصوله إلى القاهرة متوسط عام 1238 هجري – 1823 ميلادي. إبان حكم محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية بمصر فنزل في بعض أروقة الجامع الأزهر لكونه لم يظهر أمره بعد

وفعلاً لم يشتهر إلا بعد اجتماعه بأستاذه السيد أحمد بن إدريس العرائشي وأخذ العلم عنه في مكة كما سيتضح فيما بعد ثم قام بزيارة شيوخه الذين كان قد أخذ عنهم العلم عام 1232 هجري – 1817 ميلادي كما تقدم ذكرهم وتردد على حلقات كبار المشايخ أولاً ثم أخذ عن بعضهم وبدأ يشاركهم في التدريس حُسبة لله وسمع به طلبة العلم فلم يتخلف أحدٌ ممن سمع به حيث وجدوا عنده ضالتهم التي ينشدونها وتغربوا من أجلها وبعد إقامته بمصر قرابة سنتين ونصف والى رحلته إلى مكة المكرمة عن طريق الحاجّ الصحراوية وبصحبته حُجاج عام 1241 هجري – 1826 ميلادي. فمر على المحطات الآتية: البركة والبويب ثم عجرد ثم النواطير الأول والثاني والثالث وكلها أنصاب في صحراء سيناء الرملية، فالعلوة، فجنادل حسن، فقرية نخل ثم بئر قريص، ويُقال لها بئر طابة ثم أيله وهي إيلات مدين فالعقبة فحقل ثم الشرفا فمغاير شعيب وعيون القصب ثم المويلح ثم سلمى فاصطبل عنتر ثم الوجّة فعكرة والحنك فالحوراء فالخضيرة فينبع البحر ثم الشعيفة فمستورة فرابغ فبئر الهندي ثم القضيمة فخليص فعسفان فقديد فمر الظهران فمكة المكرمة وما بين مكة ومر الظهران مقامّ أم المؤمنين سيدتنا ميمونة الهلالية رضي الله عنها في منتصف الطريق، وكذلك قبل دخول مكة بنحو خمسة فراسخ توجد قرية التنعيم وهي محل العُمرة بالنسبة لسكان مكة وهذا المكان هو الذي اعتمرت منه أم المؤمنين سيدتنا عائشة ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنها وما بين التنعيم ومكة محل يُسمى في الوقت الحاضر الشهداء وهذا المكان هوفخ الذي وقعت فيه مقتلة الحسنين سلالة الحسن بن علي بن أبي طالب أيام الخليفة محمد الهادي العباسي والتي بسببها فر السيد إدريس الأكبر ابن عبد الله الكامل إلى المغرب وكانت فاجعة عظيمة فني فيها الكثير من الحسنيين والحسينيين سلالة الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين.

وصوله إلى مكة المكرمة

كان وصول السيد محمد بن علي السنوسي إلى مكة المكرمة في النصف الأول من شهر ذي القعدة عام 1241 هجري – 1826 ميلادي. وكان السيد السنوسي قد نذر لله تعالى وقف نفسه الشريفة على خدمة الكعبة المشرفة إذا سخر الله له وعاد إليها تقرباً إلى الله تعالى وتواضعاً له ومجاهدة لنفسه الشريفة وكان عازماً على المضي في ذلك غير أن الله تعالى رفع قدره الشريف وهيأه لما هو أعم وأنفع ومن تواضع لله رفعه، فاجتمع بعد وصوله مكة المكرمة بنخبة العلماء والأولياء الجامع ما بين الطريقة والحقيقة مُربي المريدين ومُحي سنة جده الأمين ذي المدد النفيس السيد أحمد بن عبد الله بن إدريس رحمه الله فأخذ عنه وانقطع إليه بعد أن قام بوفاء نذره واشترك في خدمة الحرم الشريف بقدر ما يسر الله له.

ولادة السيد الإمام أحمد بن إدريس ونشأته

كانت ولادة هذا الحَبْرُ العظيم عام 1163 هجري - 1750 ميلادي. ببلدة ميسور أو ببلدة العرائش التابعة لسلطنة فاس ومراكش وكان لهذا الإمام العظيم شأن كبير حيث نشأ أولاً في موقع رأسه الشريف "العرائش" وبعد أن ترعرع وحفظ القرآن العظيم وكثيراً من المتون ونال قسطاً وافراً من العلوم وبلغ العشرين من عمره انتقل إلى بلدة فاس عاصمة السلطنة المغربية إذ ذاك وانتسب إلى جامع القرويين بها، ومكث يطلب العلم أولاً ثم يدرِّس ثانياً نحواً من ثلاثين عاماً إلا أنه كان يرحل أحياناً أثناء دراسته هذه إلى بعض الشيوخ الكبار في بعض ملحقات فاس للأخذ عنهم، ولم يترك في زمنه أحداً من الشيوخ المعتبرين والذين عاصرهم إلا ورحل إليه وأخذ عنه العلم وهؤلاء شيوخه رضي الله عنه وعنهم.

شيوخ الإمام أحمد بن عبدالله بن إدريس بفاس وبلاد المغرب

أولهم الإمام المُحدث الكبير الشيخ محمد التاودي بن سودة المتوفي سنة 1209 هجري - 1795 ميلادي. والشيخ محمد أبوعبد الكريم الذهبي المتوفي سنة 1199 هجري. - 1785 ميلادي. والشيخ عبد القادر بن أحمد العربي بن شقرون المتوفي سنة 1216 هجري - 1801 ميلادي. والشيخ المجيدري الشنقيطي، وكان شيخه في السلوك أولاً ثم كان خاتمهم بفاس الشيخ الكبير عبد الوهاب التازي وهو الذي تمّ أمره وعلا شأنه على يده إذ كان عمدته في كافة مروياته، وكان الشيخ عبد الوهاب التازي - قبل أن يعرفه السيد أحمد بن إدريس - يحضر كمستمع في حلقة السيد أحمد بن إدريس وكان يعجبه صوته كما تعجبه طريقة تدريسه، وكان السيد أحمد بن إدريس يرجع في أموره ومشاوراته وسلوكه إلى الشيخ المجيدري الشنقيطي، وكان المجيدري تلميذاً للشيخ عبد الوهاب التازي وصادف أن عرضت مسألة للسيد أحمد بن إدريس فاستشار فيها شيخه المجيدري فقال له : حتى أشاور شيخي التازي فقال له السيد أحمد بن إدريس ألك شيخ أكبر منك؟ قال نعم! شيخي وعمدتي هو الشيخ عبد الوهاب التازي ، فقال له: إذن اجمعني به فأتى المجيدري إلى التازي وأخبره فقال له ذات مرة: ليأتيني. فجاءه الإمام أحمد بن إدريس وأخذ عنه العلم وانقطع له كلياً، وكان يلازم طريقة الحياء معه ولا يرفع صوته عنده فكان الشيخ التازي يقول له أحياناً: وين تلك الهدرة يا أحمد ويعني بذلك نبرات صوته لما كان يُدرِّس ببلدة تازة من بلدان المغرب الأقصى قرب حدود الجزائر، وكانت مدينة علم ورخاء ولا تزال كذلك. وبعد ملازمة السيد أحمد بن إدريس للشيخ عبد الوهاب التازي مدة مباركة قدر الله وتُوفي رحمه الله. وبعد وفاة العلاَّمة التازي لازم السيد أحمد بن إدريس الشيخ أبا القاسم الوزير، وكان من الصالحين الكبار وذوي المقامات العالية إلا أنه كان متستراً غير أن

المدة لم تطل، فتوفي الشيخ أبو القاسم الوزير، وبعد وفاته عقد السيد أحمد بن إدريس العزم على التوجه إلى جهة المشرق والحجاز ليتزود بعلوم أكثر وليقضي فرضه ويتشرف بزيارة جده الأعظم سيدنا محمد وليهاجر إلى الحرمين الشريفين.

عود إلى رحلة السيد محمد بن علي السنوسي

بعدما أن وصل مكة واستقر بها كما تقدم ذِكره أي آخر عام 1241 هـ 1826 ميلادي. وأخذ العلم عن السيد أحمد بن إدريس وانقطع إليه انقطاعا كلياً بظاهره وباطنه وامتزجا امتزاجاً روحياً كاملاً فقد صارح السيد أحمد بن إدريس كافّة أتباعه وتلاميذه بأنه خلف عنه تلميذه الوقور السيد محمد بن علي السنوسي وأنابه عنه في حالة حضوره وغيابه وموته وحياته وصار يقول لهم: ابن السنوسي أنا وأنا ابن السنوسي فمن تبعه تبعنا ومن خالفه خالفنا. وكان هذا التصريح يحرك غيرة بعض تلاميذه ويثير منافستهم في مناسبات كثيرة. وفي عام 1242 هـ 1827م عَنَّ للسيد أحمد بن إدريس الخروج من مكة إلى جهة اليمن حيث كثر تلاميذه وأتباعه بها، وقد أكثروا من إلحاحهم على سيادته لزيارة بلدانهم ووطنهم لنشر علومه بها، فكان يستخير الله في ذلك مرات عديدة فرأى من الإشارات ما يشجعه على السفر، وفعلاً تجهز وخرج من مكة بعد أن مكث بها بما تقدم ذكره وبعد أن ترك في الحرمين الشريفين آثاراً خالدة إلى يوم القيامة وكوَّن رجالاً خدموا الدين الإسلامي خدمة صحيحة مفيدة، وكان الإمام بن إدريس كثير الزواج كما كان الناس يتبركون ويتشرفون بمصاهرته، ولقد أنجب كثيراً من الأولاد غير أنهم كانت لا تُكتب لهم الحياة وقد سمعت من أستاذي المجاهد العظيم أحمد الشريف السنوسي قوله: دفن السيد أحمد بن إدريس في مقبرة المُعلا بمكة ستين ولداً ذكراً من صُلبه ولم يعش له إلا السيد محمد الملقب بالغوث والمولود ببلدة الطائف عام 1218 هـ 1803م وفي آخر حياته رُزق بولد سماه عبد العال وثالثاً صغيراً أسماه مصطفى وقد توفي صغيراً. ولما عزم السيد أحمد بن إدريس على الخروج من مكة إلى اليمن تعلق به أتباعه ومعظم تلاميذه ومنهم الإمام محمد بن علي السنوسي وساروا معه مراحل حتى وصل إلى بلدة الليث التي تبعد عن مكة أربع مراحل جهة اليمن فتوقف فيها وجمع تلاميذه المتعلقين به من الحجاز وغيره وقال لهم : ابن السنوسي منا ونحن منه وهو خليفتنا والقائم مقامنا فمن أراد منكم أن يرجع معه فليرجع، ومن له القدرة على السفر وأراد مرافقتنا فليفعل ثم أمر خليفته محمد بن علي السنوسي بالرجوع إلى مكة وأمره أن يقوم مقامه في كل ما له وعليه من نشرٍ لدعوته وتعليم تلاميذه ثم أهدى له جارية حبشية هي السيدة خديجة الحبشية رحمها الله والتي أنجب منها أربعة عشر ولداً ذكراً ولكنهم لم تُكتب لهم الحياة حيث كان أغلبهم يولد سقطاً وكلهم مدفونون بمقبرة

المعلا بمكة المكرمة. وكانت من الصالحات القانتات، وكانت ترافق السيد السنوسي في أسفاره وتحمل المشاق في خدمته وتمريضه ولم تفارقه لا في سفر ولا في حضر حتى سفره الأخير إلى برقة حيث أبقاها في المدينة المنورة والتي توفيت بها، وكانت السيدة خديجة هذه قد بشرت السيدة والدة محمد المهدي السنوسي وشقيقه محمد الشريف السنوسي بأنها سوف تنجب وقالت لها: إني رأيت في المنام زوجي ابن السنوسي وقد أعطاني سوارين من ذهب وأعطاكِ سوارين من فضة فعرفت أنّ من تنجبيه يفُضُ ويكبر وأن ما أنجبه أنا يذهب وفعلاً كان ذلك بأمر الله، وقد كان من صفاتها أيضاً أنها كانت حادة المزاج سريعة الانفعال مُستجابة الدعوة.

نعود إلى رحلة السيد محمد بن علي السنوسي، فبعد أن ودع شيخه السيد أحمد بن إدريس رجع إلى مكة مع من رغب الرجوع من الإخوان، وعند وصوله مكة بدأ سيره وعمله على نهج أستاذه وهديه وطريقه حذو القذة بالقذة دون زيادة أو نقصان ونزل في وسط جبل أبي قبيس حيث كان شيخه نازلاً. بعد ما نزل السيد السنوسي في وسط جبل أبي قبيس الذي كان خالياً من البيوت والسكان كان سكاهم في عُشٍ من القش والجريد والخوص وقد أرهقهم الحر والمطر والبرد لذلك استخار الله تعالى في إقامة بناءٍ لأنهم كانوا يتحاشون إقامة المباني في الأماكن المرتفعة فوق سطح الكعبة المعظمة فرأى رضي الله عنه ما يشرح صدره للبناء فشرع في بناء المسجد بمساعدة إخوانه وتلاميذه في آخر عام 1243هجري 1828 ميلادي. كما أقام بجوار المسجد خلوات للإخوان الغرباء والمنقطعين من طلاب العلم وقد سُمِّيَ هذا المسجد وما يتبعه بزاوية جبل أبي قبيس وهي أول زاوية أسسها الأستاذ الإمام محمد بن علي السنوسي.

إمارة الأدارسة باليمن وعلاقتها بالحركة السنوسية

غادر الإمام أحمد بن إدريس الحجاز في سفينة شراعية عام 1242 هـ 1826م نحو اليمن لنشر الدعوة الإسلامية وتوعية المسلمين بأمور دينهم وخلال أربعة أعوام لم يترك الدروس والوعظ والإرشاد يوماً واحداً. حتى عمَّ نفعه للخاص والعام، وكان يقوم أيضاً بدور الإصلاح بين القبائل المتنازعة وأثناء ترحاله لنشر العلم والدعوة إلى الله، حط رحاله ببلدة أبي عريش وكان أمير تلك المنطقة هو الشريف علي بن حيدر بن حمود من الأشراف، فأكرم نُزُل السيد بن إدريس وهيأ له كل أسباب الراحة والاستقرار. ولذلك آثر الإقامة في بلدة صبيا بالقرب من أبي عريش، وهناك اجتمعت عليه أممُ كثيرة، ولقد غلب الجهل بالدين والشرع على أكثر أحوال تلك الجهة، ولم يبق لهم من الإسلام إلا اسمه ومن المصحف إلا رسمه ولذلك كرس الإمام بن إدريس جهوده في المساجد والمجتمعات وفي بيته حتى كونَّ نخبة مباركة من طلاب

العلم حملوا الأمانة من بعده عملاً بكتاب الله وبالتي هي أحسن. وهناك وفد إليه تلميذه وخليفته محمد بن علي السنوسي من مقر إقامته بمكة مراراً وكان يُرتب له قافلةً من مكة تخرج على رأس كل شهر تحمل للشيخ بن إدريس ماء زمزم وكل ما هو ضروري لسيادته طيلة مُكثه في صبيا والتي دامت تسعة أعوام، وقد كانت وفاة الإمام بن إدريس في صبيا سنة 1253 هـ 1837 م ولم يحضر السيد محمد بن علي السنوسي وفاة شيخه السيد أحمد بن إدريس وبعد وفاته رجع من كان معه من الإخوان إلى مكة. وممن لحق بالإمام السنوسي بمكة ورافقوه في رجوعه إلى برقة ولازموه مدة حياته الشيخ محمد الشقيع ومحمد بن عبد الله السِني وأحمد أبوالقاسم التواني والشيخ عمر بوحوا الأوجلي. ثم استمر أحفاد الإمام أحمد بن إدريس في نشر العلم الشرعي.

الأمير محمد بن علي الإدريسي مؤسس إمارة الأدارسة باليمن

ولقد برز منهم على الساحة السياسية السيد محمد بن علي الإدريسي مؤسس إمارة الأدارسة باليمن. فقد اشتغل بطلب العلم في صبيا باليمن ثم انتقل إلى الأزهر بالقاهرة وأتم فيه دراسته الشرعية، ثم ارتحل إلى واحة الجغبوب بليبيا ومنها إلى الكُفرة حيث إقامة الإمام محمد المهدي السنوسي فزاره بها ومكث عنده مدة يتتلمذ على يديه ثم عاد إلى صعيد مصر حيث زار أبناء عمومته آل السيد عبد العال الإدريسي بمنطقة الزينية ثم كانت عودته إلى مسقط رأسه باليمن عام 1323هـ 1905م. وكانت عودته بطلبٍ مُلحٍ وسريع من والده ومُريديه ومُحبيه وشيوخ القبائل وبعد وصوله بقى مع والده قرابة عامٍ ونصف، ثم تُوُفي والده علي بن محمد بن أحمد بن إدريس. قام بعد ذلك السيد محمد مقام والده بالدعوة إلى الله والإرشاد فغار منه الأتراك الموجودون بمنطقة جيزان وعسير والحُدَيدة وأرادوا الكيد به وإلقاء القبض عليه ومن ثَمَّ إرساله إلى استانبول مركز الخلافة فحال دونه أهل تِهامة قاطبةً وحاربوا الأتراك حتى أجلوهم من تلك الجهة. وأقاموا السيد محمد بن علي الإدريسي أميراً عليهم، وبذلك تأسست الإمارة الإدريسية وتوسعت حتى بلغت نجران والحُدَيدة وعسير وحتى قُرب منطقة القُنفدة من ناحية مكة ولذلك تضايق من اتساع نفوذ الإمارة الإدريسية كل من إمام اليمن وأمير مكة هذا وقد



استمرت إمارة الإمام محمد الإدريسي أربعة عشر عاماً ثم كانت وفاته سنة 1341 هـ 1923م. فتولى ابنه الأكبر علي بن محمد الإدريسي وبقي في الإمارة ثلاثة أعوام ثم تنازل لعمه الحسن بن علي الإدريسي والذي استمرت إمارته سبعة أعوام ثم ما لبثت إمارة الأدارسة في اليمن أن اضمحلت بعد عدة عوامل يطول شرحها ويضيق بنا المقام لسردها فهاجر بعدها السيد الحسن

الإدريسي وكافة العائلة الإدريسية باليمن إلى مكة وهم الآن مقيمون بها وهم فَرْعُ السادة الأدارسة باليمن. نفع الله بهم وجعلهم شجرة صلاح وفلاح مباركة إلى يوم الدين.

الزواية السنوسية تنطلق من الحجاز إلى ليبيا

تأسيس زاوية جبل أبي قبيس وبقية زواية الحجاز

بعد أن شرع الإمام محمد بن علي السنوسي في تأسيس زاوية أبي قبيس بمكة وأتمها، تصدر فيها للإفادة والنفع العام فافتتح دروساً في شتى العلوم وبذلك أضحت زاوية أبي قبيس كعبة طلاب العلم الشرعي ورواده، ووفد إليه طُلاب العلم من مختلف البلدان الإسلامية وكانت دروسه مقسمة للمبتدئين وحفاظ القرآن، وقسمٌ لمن درجوا وقطعوا مراحل في طلب العلم الشرعي، ولذا فقد كان الإمام السنوسي رحمة شاملة لأصناف طبقات الأمة. كما كانت له دروس عامة في الوعظ والإرشاد إلى عبادة رب العالمين بالطريقة السليمة المستقيمة بلا شائبة زيغ أو إلحاد أو حظ نفسي. بل لقد سلك طريق جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والتي كان عليها هو وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين وكان الإمام السنوسي يُحذر وينهى أشد النهي عن الشعوذة والضلالات وكان كذلك يَحُضُ أتباعه على العمل والكسب بعرق الجبين، ويحذرهم من الركون للراحة والبطالة والتطلع إلى ما في أيدي الناس " وهذه التوجيهات كانت تمثل أقوى دعائم نجاح عمل وآليات الحركة السنوسية وتميز أفرادها لإخوان السنوسيين إذ كانت كل زاوية بمثابة خلية نحلٍ الكل يعمل بنشاط دؤوب لا كلل فيه فبعد طلب العلم الشرعي هناك تعلم الحرفة لطلب الرزق أو الإتجار للاستغناء عن الخلق ومن هنا كانت حيوية الدعوة السنوسية تؤهلها لتكون حركة إسلامية تدفع نحو أفق الدولة لا محالة".

تأسيس الزاوية السنوسية بالطائف

كان الإمام السنوسي في هذه الأثناء يتردد بين الحرمين الشريفين وبين الفينة والأخرى يزور مدينة الطائف حيث كانت إقامته الصيفية بها، وهناك أسس زاويته ما بين عام 1254 – 1254 هـ 1837 – 1838م. وكان محل هذه الزاوية حيث ركز فيه سيدنا محمد صلوات الله عليه رايته حينما فتح الطائف بعد وقعة حُنين؛ ولقد امتزج أهل الطائف بالإمام السنوسي من خلال هذه الزاوية ولقد أخذ عنه العلم من أهلها كثيرون، ومن أبرز طلابه في الطائف الشيخ محمد البكري وأخوه أحمد بن صادق البكري، وكذلك الشيخ حامد بن محمد غانم خيره وكان أُمياً ففتح الله عليه ببركة إخلاص نيته وجِده واجتهاده، فتعلم قراءة القرآن والكتابة؛ ولما سافر الإمام السنوسي إلى برقة بليبيا - حيث كانت سفرته الأخيرة – كان الشيخ حامد نائباً لمسئول الزاوية وهو الشيخ محمد بن إبراهيم الغماري الكبير وبعد وفاة الشيخ الغُماري أصبح الشيخ

حامد هو خليفة الإمام السنوسي بالأصالة، ولقد كان مثالاً للصدق والأمانة والإخلاص والنزاهة." وهذه أيضاً من عوامل نجاح دور الزواية السنوسية معادن الرجال وحُسن اختيارهم. * ثم بعد وفاة الإمام السنوسي أبقى السيد محمد المهدي السنوسي الشيخ حامد مسئولاً على زاوية أبي قبيس حتى عام 1303 هـ 1886 ميلادي. حيث توفاه الله بالمدينة المنورة؛ فعين الإمام محمد المهدي السنوسي ابن الشيخ حامد المُسمى – محمد السنوسي – خليفة بدل والده. فقام بهذه الخلافة خير قيام ووسع نطاق الأوقاف العائد للزوايا بمكة وجدة والطائف وكثر في عهده الإخوان السنوسيون إذ كان مؤلفاً بينهم ومصلحاً بحق وعفيفاً ورِعاً ومما يدل على كمال دينه وورعه ما ذكره في ثنايا وصيته من أنه " لا يملك قليلاً ولا كثيراً وليس له حق في أي شيء يتعلق بالوقف السنوسي وأن كل ما أسسه من مباني أو مزارع وملحقاتها فهو مِلكٌ السيد محمد المهدي وأخيه السيد محمد الشريف السنوسي ووقفٌ عليهم وليس له إلا ثوبٌ يلبسه أو لُقمة يأكلها انتهى. وكان رحمه الله تعالى يُكثر التردد على واحة الجغبوب ثم في سنة 1320 هجري 1902 ميلادي. توجه من الحجاز قاصداً - بلدة الكُفرة الواقعة جنوب برقة – لغرض زيارة السادة السنوسية فعاجله القضاء والقدر وتوفاه الله بها فعظم مصابه على السادة السنوسية والإخوان السنوسيين.

الأمير عبد القادر الجزائري في ضيافة الإمام السنوسي

في عام 1242 هجري 1827 ميلادي. قدم إلى الحج بطل الجزائر الأمير عبد القادر في صُحبة والده السيد محي الدين بن عبد القادر الحسيني وهم من آيالة وهران التابعة للجزائر. كان عمر الأمير عبد القادر حينذاك تسعة عشر عاماً حيث كانت ولادته عام 1223 هجري 1808 ميلادي. وكان بين الفقيه محي الدين الحسيني والسيد محمد بن علي السنوسي معرفة سابقة بالجزائر فقام والد الأمير عبد القادر بزيارة الإمام السنوسي في زاويته بجبل أبي قبيس ومعه ابنه عبد القادر فأكرمهما الإمام السنوسي وقدم لهم وجبة من الكسكسي وجلس معهم على المائدة غير أنه لم يأكل لمرض ألَمّ به ، فوجه نظره إلى الأمير عبد القادر وصار يعقد أصابعه ويعد اللقم التي يأكلها فأكل الأمير أربع عشرة لُقمة ثم رفع يده عن الطعام فقال له الإمام السنوسي: زد فقال لا أستطيع فكرر له القول وهو يعتذر ويقول لا أستطيع، فقال له الإمام : يا ودِّي زيد. يزيدوك - أي يا ولدي زد زادك الله - فقال: لا أستطيع. فرد عليه الإمام السنوسي قائلاً : هذا الذي كتبه الله. ولكن الأمير لم يفطن لهذه الإشارة ولم يلقِ لها بالاً كما لم يعرف المعنى هذا وقد كانت الإشارة من الإمام السنوسي للمدة التي سيحكمها الأمير، وهذا من قبيل الإلهام والكشف الذي يمن الله به على من يشاء من عباده. ولما فرغ الأمير عبد

القادر وأبوه من أعمال الحج وأتما الفريضة عام 1243 هجري 1828 ميلادي. وعزما على العودة إلى الجزائر قام الإمام محمد بن علي السنوسي يودعهما وقال مُخاطباً الفقيه محي الدين عبد القادر الحسيني: إن الدين الإسلامي يُحتم على كل مسلمٍ بأن يُدافع عنه بقدر استطاعته ويُحرِّم على المسلمين الاستسلام للعدو الغاصب المعتدي والمنتهك لحرمات الدين والإسلام والمُعطِل لأحكام الله، وإني أستوصيك بولدنا عبد القادر هذا خيراً فإنه ممن سيدافع عن حرمات الإسلام ويرفع راية الجهاد فكان هذا سبباً في ‘يجاد روح الجهاد والمقاومة فيهما وتفكيرهما في كل ما أوصاهم به السيد السنوسي. وقد صدقت فراسة الإمام السنوسي فلم يمض عام على وصول الأمير عبد القادر وأبيه محي الدين حتى استولى الفرنسيون على مدينة الجزائر العاصمة فكانت البيعة للشيخ محي الدين الحسيني أولاً ثم بويع للأمير عبد القادر ابن محي الدين الجزائري عام 1248 هجري 1832 ميلادي. فقام بتنظيم الجيوش وتقدم إلى ساحات الوغى حيث أحرز انتصارات باهرة خاصة في مدينتي وهران ومستغانم ولذلك اضطرت فرنسا إلى عقد عدة اتفاقيات للهدنة ثم ما لبثت الحرب أن اشتعل أوارها من جديد ولم تستطع فرنسا أن تكسر شوكة الأمير عبد القادر الجزائري إلا بالدسائس وتحريض سلطان المغرب وتهديده فأرسل جيشاً قوامه خمسون ألف محارب ، فوقعت ما بين الفريقين حروب طاحنة ضاع فيها مع الأسف خلق كثير من الجانبين الجزائري والمغربي!!! مما اضطر الأمير للتفاهم مع فرنسا على إنهاء حالة الحرب بينهما. وبذلك تمت مقاومة الجهاد التي دامت سبع عشرة سنة كان اللواء لوالده الفقيه محي الدين لفترة سنتين ونصف، وبعدها كان اللواء بيد المجاهد البطل الأمير عبد القادر الجزائري لفترة أربعة عشر عاماً ونصف حيث تم بعدها التسليم سنة 1261 هجري 1845 ميلادي ولله الأمر من قبل ومن بعد. وكان من بنود المعاهدة أن ينتقل الأمير عبد القادر الجزائري بكامل عائلته إلى مدينة طولون بفرنسا. وبعد إقامته بها خمس سنوات سمحت له الحكومة الفرنسية بالسفر إلى استانبول ومنها إلى بروسه بتركيا فأقام بها مدة سنتين ثم توجه إلى دمشق الشام سوريا حيث أقام بها بقية حياته حتى وافته المنية سنة 1299 هجري 1883 ميلادي. بعد أن عاش من العمر خمسة وسبعين عاماً. عليه رحمة الرحمن وجزاه الله على جهاده خيراً وأسكنه أعالي الجنان آمين.

التعريف بحقيقة الزوايا السنوسية

السنوسية علم وعمل دعوة وتربية وجهاد

في الحقيقة أن الزوايا حسبما هو معروف في لغة العرب هي ملتقى كل رُكنين وزاوية كل شيء تعني رُكنه وجمعه زوايا وزوايا كل شيء أركانه ، مثلما أُحدثت الملاجئ في العهدين

الأُموي والعباسي وأصبحت معروفة ومبذولة بكثرة، ولقد أوجدوا بداخل هذه الملاجئ أماكن للغرباء والفقراء والمنقطعين وخصصوا لهم معلمين يعلمونهم القرآن وشيئاً من العلوم بصفة مشجعة لطلب العلم واشترط أصحاب هذه الملاجئ أنَّ الساكن بها لا بُد وأن يكون من طلبة العلم ومع الوقت تغيرت أسماء الملاجئ إلى مدارس وأصبحوا يطلقون عليها مدارس. ولا تزال بعض هذه الأماكن معروفة بهذا الاسم إلى تاريخه في عموم بلدان المسلمين وأغلبها في دمشق ومصر ومكة والمدينة ثم تطورت هذه المدارس وكثُر بها الطلبة وسُميت بأسماء الشخصيات الكبيرة التي أسستها، وهذه الشخصيات لها شأنها العظيم من العلم والصلاح والزهد كما أصبح لأتباع هذه الشخصيات زيُ مخصوص في أوقات مخصوصة بكيفية مخصوصة، وعُرِفوا بالسادة الصوفية جمع صوفي والصوفي معناه حسب الاصطلاح هوذاك الرجل العابد الزاهد في الدنيا وشهواتها والمنقطع لعبادة الله والمشتغل بما يقربه لربه ويبعده عمَّا لا يرضاه ويسعد به في الآخرة. وطبعاً حسب رسوخ هؤلاء السادة في العلم الشرعي وصلاحهم ومكانتهم أصبح لهم أتباعٌ يُعرفون باسم الشخصية التي اختاروها واتبعوها. وكما هو معلوم أن المذاهب الفقهية عند المسلمين محدودة والمعتمدة المتفق عليها أربعة الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي لذلك لم يستطع الأتباع أن يتسموا باسم المذهب الفقهي فاصطلحوا على اسم جديد وهو الطريق أي طريق فلان ومعناه "طريقة سلوكه في عبادته وزهده وتعليمه وإرشاده" وأصبح معلوماً لدى عموم المسلمين أن أتباع أي شخص هم أهل طريقته ثم اصطلحوا على تسمية المدرسة التي يجتمعون بها ويتعلمون فيها العلم الشرعي ويقيمون فيها أذكارهم وأورادهم بالزاوية وعادة تكون الزاوية هي مقر صاحب الطريقة ومقر من يقوم مقامه ومع الوقت تطورت هذه الزوايا حتى أصبحت أماكن معروفة للضعفاء والعجزة والمنقطعين والمتطلعين إلى حسنة المحسنين باسم الدين ويغلب عليهم الجمود والكسل وربما يظنون أن هذا مما يوجبه الدين لإسلامي !!! وطبعاً لا يقول بهذا إلا الجهلة والراكنون إلى الكسل والبطالة.

حقيقة الطريقة السنوسية وأصولها

أما حقيقة الطريقة السنوسية عند السادة السنوسية فهي كما قال مؤسس الطريقة السيد الإمام محمد بن علي السنوسي حيث قال : طرقتنا الكتاب والسنة أي القرآن والحديث وهي مبنية على ثلاثة أصول.

1 – تعلم العلم وتعليمه.

2 – إرشاد العباد لرب العباد ودعوتهم إليه.

3 – الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته.[1]

وكان الإمام السنوسي يأمر أصحابه ومريديه ومتبعيه بالجد والاجتهاد والمثابرة على العمل وترك التكاسل والكسل وكان يقول لهم : الكيمياء في سكة المحراث ويقول أيضا: الإسلام قولٌ وعملٌ والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وكان يأمر أصحابه ويحتم عليهم بعد تلقيهم العلم الضروري أن يتعلموا أنواع المهن والحِرَف وكيفية الاشتغال بها فكان بين أتباعه العلماء الفطاحل والبناؤون الحاذقون والنجارون والخياطون والخرازون والحدادون والمزارعون وكان من بينهم أيضاً من يُحسن عمل البارود وأنواع الأسلحة وكيفية إصلاحها وفيهم من يجيد عمل السيوف وأنواع آلات السلاح الأبيض وباختصار كانت الزاوية السنوسية بالمعنى الصحيح في كل مكان عبارة عن وحدة كاملة صغيرة تحتوي على عموم المستلزمات لحياة الإنسان في دنياه ودينه ولذلك عندما قامت الحرب بين السنوسيين والفرنسيين في السودان "قرو- تشاد" وأخيراً مع الطليان في ليبيا وجدت الدولتان فرنسا وإيطاليا أهل ليبيا على عمومهم جنوداً مجندة مُسلحة بكل ما يلزم وهم يحسنون استعمال أنواع الأسلحة والآلات الحربية كما أنهم يتقنون ركوب الخيل ويعرفون فنون المهن الضرورية لهم وبذلك استطاعوا المقاومة والصمود أمام عدوهم القوي والمدجج بكافة أنواع السلاح حتى "سلاح الطيران الذي أستخدم لأول مرة في التاريخ" ومع ذلك صمدوا لمدة أثنين وعشرين عاماً مع قلة عددهم وعتادهم أمام قوات الأعداء المؤلفة والمزودة بأحدث آلات الحرب المدمرة من طيارات ودبابات ومدافع ورشاشات.

ومن هنا يتضح للقارئ الكريم أن الشخص السنوسي معناه هو" ذلك الأخ المتعلم والعامل بعلمه. الداعية الحركي المحترف والمجاهد في سبيل الله. وفي حقيقة الأمر إن السنوسيين لم يأتوا بجديد في دين الإسلام، كما أنهم لم يخرجوا عن كونهم إخوان مسلمين يعملون بأوامر دينهم الحنيف ويطبقونها فعلياً: فهم للصلاة المفروضة مقيمون في أوقاتها وللزكاة هم مؤدون للسائل والمحروم وللعلم هم به آخذون وبه يعملون وهم يعدون العُدة لدفع العدو الصائل المعتدي الغشيم فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ويأكلون من عرق الجبين وما كسبت أيديهم فامشوا في مناكبها وكلوا من

[1] لعل هذا الأصل وهو"الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته" قد ميز الحركة السنوسية بميزة جعلت الفرنسيس في تشاد في مواجهة المجاهدين برئاسة السيد ممد المهدي السنوسي والإنجليز في حدود مصر الغربية في مواجهة المجاهدين تحت راية القائد أحمد الشريف السنوسي ثم الطليان الذين ذاقوا الأمرين في حروبهم المتتابعة لإحتلال الوطن الليبي.. حيث امتد جهاد الليبيين من سنة 1911 ميلادي - حتى سنة 1932 ميلادي. أي بعد استشهاد المجاهد البطل شيخ الشهداء عمر المختار كل هذه المواقف مجتمعة لعلها كانت سبباً رئيساً في اجتماع كلمة الأمريكان والإنجليز والفرنسيين على التخلص من رمز هذه الحركة والتي أصبحت دولة في شخص ملك ليبيا الراحل محمد إدريس السنوسي ومما يؤكد هذا الترجيح موقف بريطانيا من الإنقلاب العسكري سنة 1969 ميلادي. حينما أرسل الملك إدريس مبعوثه الخاص السيد عمر الشلحي إلى لندن لتذكير الإنجليز بمعاهدة الدفاع المشترك بين بريطانيا وليبيا.. فجاء الرد سريعاً من لندن " إن هذا شأن داخلي.. ولا يمكن لنا التدخل بأي شكل من الأشكال !! وكذلك كان موقف الأمريكان في أكبر قاعدة لهم في الشرق الأوسط ساعتئذ قاعدة هويلز بطرابلس الغرب.. حيث كانت تراقب أحداث 1969/9/1 عن كثب ولم تحرك ساكناً !!

رزقه ويذكرون الله صباح مساء والذاكرين الله كثيراً والذاكرات وذكرهم تلاوة القرآن وحفظه عن ظهر قلب والعمل بأوامره واجتناب نواهيه. هذه حقيقة الفرد السنوسي وحقيقة الزاوية السنوسية أينما وُجِدَت.

استجابة الإمام السنوسي لداعي الجهاد في الجزائر

بعد تأسيسه لزاوية الطائف تاق الإمام محمد بن علي السنوسي للمساهمة في دفع "الصائل الغاشم الفرنسي" عن أرض الجزائر الإسلامية مدفوعاً بالغيرة الإسلامية والحمية الدينية فعقد النية لخوض غمار الجهاد المقدس فأحضر الإخوان السنوسيون وأخبرهم بعزمه قائلاً لهم: من رغب مرافقتنا فليجهز نفسه، ومن أراد جوار الحرمين فله الإذن ولا حرج عليه وهذه زاويتنا وبها خليفتنا الشيخ عبد الله التواتي – وهو أول شيخ تولى مسئولية زاوية أبي قبيس من بعد المؤسس ابن السنوسي ثم توجه الأستاذ السنوسي وبصحبته عدد كبير من الإخوان السنوسيون وذلك آخر عام 1255 هجري مارس 1840 ميلادي. حسبما هو مدونٌ في مذكرات مرافقه الشيخ محمد صادق البكري والذي تولى فيما بعد مسؤولية زوايا الجريد بتونس. فتوجه الإمام السنوسي من مكة إلى المدينة المنورة ثم إلى القاهرة وكان قد ذاع صيته في كافة الأمصار الإسلامية، فلما حل بالقاهرة ونول بالجامع الأزهر وفد إليه الوفود من طلبة العلم الشرعي من مختلف طبقات الأمة وطلب منه بعض شيوخ الأزهر إسماعهم بعضاً من دُررِ علومه النافعة، فعقد لهم عدة محاضرات ومجالس للعلم وفي أثناء إحدى دروسه وقف أحد كبار شيوخ الجامع الأزهر وقال مخاطباً العلماء: أنصتوا أيها العلماء فقد حل بين أظهركم إمام الأمة المحمدية ونبراس الشريعة المُطهرة وشمس المعارف الإلهية ألا وهو الشيخ محمد بن علي السنوسي - وهذا القول مثبت حرفياً في مخطوط الرحالة التونسي محمد بن عثمان الحشائشي والمحفوظ بدار الكتب المصرية - هذا ولقد حاز الإمام السنوسي رضا الجميع عدا شخص واحد وهو الشيخ عُليش المالكي والذي رأى في شخص السنوسي منافساً له ونجماً سطع نوره فوقعت الغيرة في قلبه ! وأثناء تواجد الإمام السنوسي بالقاهرة كانت صحته معتلة وكان لا يأكل شيئاً سوى شراب من الحليب صباحاً ومساءً فقط وكان الذي يقوم على خدمته أحد تلامذته – وهو طالب علم تركي - كان يقدم له كأس الحليب فأغواه الشيطان من الإنس أو الجن فوضع له السُمَ في الحليب ! فما أن شرب الكأس حتى سقطت جميع أسنانه واشتد به ألم السُم حتى تدهورت صحته وأشرف على الهلاك. وأخيراً منّ الله عليه بالشفاء بعد الإسعاف والعلاج إلا أن تداعيات المرض قد أصابته بأوجاع مزمنة في العظام وطفح جلدي كان يظهر عليه سنوياً بعد هذه الجريمة ثُم أرسل الإمام السنوسي في طلب الشيخ عبد الله التواتي من مكة، وعزم على السفر إلى الجزائر

فاتخذ طريق الصحراء ماراً بواحة سيوة ثم واحة جالو وقد كان الشيخ عمر بوحوا الأوجلي في صحبة ابن السنوسي ثم انتقلوا إلى واحة أوجلة لزيارة صاحب رسول الله عبد الله بن سعد بن أبي السرح وقد تعرف أهل أوجلة على الإمام السنوسي من قبل حيث مر بهم عام 1238 هجري 1823 ميلادي. ففرحوا بمقدمه فرحاً لا يكاد يوصف خاصة أن أوجلة هي بلدة الشيخ عمر بوحوا وبعد أسبوع توجه إلى برقة فنزل على نجع عائلة اللواطي من قبيلة العواقير فأكرموا نُزله ثم رافقوه إلى منتجع قبيلة المغاربة حيث شيخ قبيلتها علي لطيوش والذي تشرف بمعرفة السيد السنوسي من قبل وذلك خلال سفره الأول قاصداً مصر والحجاز. وبعد كرم الضيافة الحاتمي رافق الشيخ علي لطيوش الإمام السنوسي إلى منطقة الهيشة ما بين سرت ومصراتة وهناك استقبله آل



المنتصر ومعهم أعيان مصراته. ولم يلبث طويلاً بمصراته حيث غذى السير إلى زليتن ومنها إلى طرابلس الغرب حيث نزل سراً عند تلميذه ومُحبه أحمد باشا المنتصر ثم سافر إلى زواره ودخل الحدود التونسية - وكانت حكومة فرنسا الملعونة - تتتبع تحركات الإمام السنوسي وتنقلاته باهتمام بالغ حيث أوعزت للحكومة العثمانية أن هذا الرجل مثير وله أتباع وأهداف تضر بمصلحة الحكومة التركية والخلافة !! ولا يُؤمن تحريضه للأهالي وقيامه بالدعوة ضد الحكومة التركية ولقد أزعجت هذه التقارير الزائفة حاكم ولاية طرابلس علي عشقر باشا كما قامت فرنسا أيضاً بإخطار حاكم تونس وطالبته بضرورة منع الإمام السنوسي من الوصول إلى الجزائر.

الزاوية البيضاء في الجبل الأخضر

خاطب الإمام السنوسي الحاضرين قائلاً لهم: أريد أن أبني لكم مسجداً تجتمعون فيه لصلاتكم وتعقدون فيه مشاوراتكم ومصالحكم وفيه يتلقى أبناؤكم العلم الشرعي. وسوف نعين لكم خليفة ينوب عنا يقوم بأمر المسجد وتعليم القرآن وتحفيظه ويقوم بدور الإرشاد الديني وكذلك فض النزاعات بينكم. ولقد لمس الجميع فائدة هذا الدور الذي سيضطلع به نائب الإمام السنوسي في المسجد والزاوية فبادروا بالتلبية والإجابة وعند ذلك أمر الإمام السنوسي إخوانه الذين كانوا معه أن يبادروا بجمع الحجر والبناء في الأماكن التي خطها لهم ثم وضع حجر الأساس بيده

الكريمة، وهذا الحجر موجود بعينه في جدار المسجد المذكور ثم قال لهم: إبدأوا باسم الله وعلى بركة الله، فجدوا واجتهدوا ووقف الشيوخ أبوبكر بوحدوث ومُقَرّب بوحدوث وعمر بوجلفاف ونظموا القبائل المجاورة حيث قسموا أيام الأسبوع بينها، فكانت كل قبيلة تقوم بعملها في يومها المخصص لها على أكمل وجه فتجمع الأحجار وتأتي بالماء والأخشاب والزاد والذبائح حتى تم بناء المسجد والزاوية البيضاء. وفي عام 1258 هجري - 1842 - ميلادي. بدأت طلائع الإخوان تتسابق وتفد إلى الإمام السنوسي في زاويته البيضاء.

الإخوان السنوسيون

كان من أبرز الإخوان الذين لحقوا بالإمام السنوسي في الجبل الأخضر خلال عامي 1259/1258 هجري 1842 / 1843 ميلادي. السادة:

عمران بن بركة الفيتوري الزليتني الطرابلسي - مصطفى المحجوب - مرتضى فركاش - عمر الأشهب - محمد بن إبراهيم الغماري الكبير وأخوه محمد بن إبراهيم الغماري الصغير- علي أبوعبد المولى والذي كان قد خلفه في مدينة قابس بتونس لإنجاز لوازم ضرورية للإخوان الذين توجهوا للجهاد في الجزائر. كما لحق به أيضا كل من السادة أحمد المقرحي وعلي القزيري والذَين قد أخذا عنه العلم في طرابلس بعدما جاءا لمناظرته، ولحق به كذلك السادة: منصور محجوب الزليتني والذي وافاه أجله المحتوم فيما بعد في الطائف بالحجاز - أحمد أبوالقاسم العيساوي - الشيخ حسين الغرياني - الشيخ محمد بن أحمد الفيلالي - إبراهيم بن إبراهيم الغماري - وأخوه أحمد بن إبراهيم الغماري - محمد أحمد السكوري - إسماعيل الفزاني - أحمد القسطنطيني الجزائري - حسين الحلافي - محمد الأزهري الزنتاني - كما التحق به صغيراً السيد عبد الرحيم المغبوب والمشهور بالمحبوب - الشيخ أبوسيف مُقَرّب. وبعد إتمام بناء الزاوية البيضاء وقبل زواج الإمام السنوسي الكبير أمر خليفته بالحجاز السيد عبد الله التواتي بالرجوع إلى عمله بزاوية أبي قبيس بمكة، وذلك بعد أن حصلت على يديه قصة قبيلة البراعصة المشهورة وهي كما يأتي:

هجرة البراعصة إلى مصر ومحاولة العودة

قبيلة البراعصة في الجبل الأخضر لها ميزة خاصة دون غيرها من القبائل الحرابي وفيها مشيخة المشايخ. والمشيخة تتناوب بين أبناء جليد من زوجتيه خضراء ومغيربية فوقع بينهما تنافساً على مشيخة القبيلة نشب على إثره نزاعاً أدى إلى اندلاع حرب بين أبناء خضرة وأبناء مغيربية وانقسمت القبائل التابعة لهما كُلٌّ يُناصر حزبه. وأخيراً تغلب أبناء مغيربية على أبناء خضرة وأجلوهم من برقة والجبل الأخضر وبقية القطر الليبي حتى دخلوا الحدود المصرية، وانفرد أبناء مغيربية بالإمارة. وعند قدوم الإمام السنوسي إلى الجبل الأخضر كان شيخ قبيلة

البراعصة هو أبوبكر بوحدوث فتابع الإمام السنوسي وانخرط في سلكه وسخره الله لمساعدته في كل شيء، وكانت محبته عظيمة ولذا كان يشارك الإخوان في كافة أعمالهم بنفسه فضلاً عن أتباعه. وكان بجلالة قدره ممن يخلط الطين للبنائين أثناء بناء المسجد والزاوية البيضاء رغبة منه فيما عند الله من ثواب.

نعود إلى أبناء خضرة فبعد أن قضوا برهة من الزمن في الأراضي المصرية. أخذوا يفكرون في العودة للوطن ووافقهم على ذلك بعض منافسي آل مغيربية، ووعدوهم بنصرتهم إذا عادوا إلى الوطن. فتهيأ بنو خضرة للرجوع وركبوا البحر في مراكب شراعية يزيد عددها على العشرين مركباً، ونزلوا في بلدة درنة على كبيرها في وقته الشيخ حمد بن سالم بن علي وجاء نبأ وصولهم ونزولهم بدرنة إلى مسامع الشيخ أبوبكر بوحدوث حينما كان وسط عجنة الطين فخرج من العجنة وجاء إلى السيد عبد الله التواتي وقال له: يا سيدي عبد الله عيلة خضرة جو وما دون الحلق إلا اليد فقال له التواتي: إصبر حتى نخبر السيد السنوسي، فدخل التواتي على الإمام السنوسي وقال له: يا سيدي عيلة خضرة جو أي وصلوا فقال له الإمام السنوسي: ويش نعمل؟ فسكت التواتي ووقف لحظات ثم أعاد القول ثانية فرد عليه ابن السنوسي: ويش نعمل يا أخانا عبدا لله؟ فحار التواتي جواباً ووقف واجماً ثم أعاد سؤاله، فرد عليه الإمام بشدة: ماذا نفعل نعاند أمر الله؟! فعند ذلك قال التواتي: يا سيدي نأخذ بندقيتي ونضرب مع أصحابي فقال له الإمام السنوسي: يهودية يا عبد الله؟! فقال: يا سيدي اليهودي الذي يخلي صاحبه أي يتركه ويخذله فعند ذلك انفعل السيد السنوسي ثم تبسم قائلاً: قل لأبي بكر يرجع في عجنته مثل ما جو يرجعوا فخرج التواتي إلى الشيخ أبوبكر وأبلغه بما قال السنوسي فرجع إلى العجنة واستأنف عمله ولم يكترث لأمرهم فجاءه بنوعمه وقبيلته وقالوا له: عيلة خضرة في درنة وأنت قاعد هنا ؟! فرد عليهم بهدوء وحُسن نية: سيدي قال: مثل ما جو يرجعوا. وفعلاً بعد إقامتهم في درنة عشرين يوماً في ضيافة الشيخ حمد بن علي رجعوا في سفنهم التي جاءوا بها وأنشدت مغنيتهم في ذلك:

إن طالت لعيت بياض جميل بن علي ما ينتسا

ومعنى ذلك إن طالت الأيام لآل بياض وهم آل خضراء فلن ينسوا جميل الشيخ حمد بن علي.

هذا وبعد أن استقر الإمام السنوسي بالزاوية البيضاء وبدأ أعماله النافعة فيها من تدريس ووعظ وإرشاد بدأت القبائل تتوافد إليه طالبة منه إقامة زوايا لها أُسوة بالزاوية البيضاء فكان رضي الله عنه يتوجه بنفسه إلى القبيلة أوالمكان المطلوب إقامة الزاوية فيه، وأحياناً كان يُرسل بعض الإخوان لينوب عنه وبهذه الطريقة تنافست القبائل في نشر الزوايا وعمران المساجد.

زواج الإمام السنوسي

وفي آخر عام 1258 هـ 1842 م حضر السيد أحمد بن فرج الله الفيتوري بأهله من طرابلس إلى بنغازي ومنها إلى الزاوية البيضاء امتثالاً لطلب السيد السنوسي. وبعد وصوله بأيام قلائل جمع الإمام السنوسي الإخوان وقال لهم: تعلمون إخواني أنني قد تقدمت بي السن - وكان عمره إذ ذاك سبعة وخمسين عاما - ولقد ضعف جسمي وقوتي بعد شربي للسم ولم يبق لي مأرب في النساء غير أنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي وقال لي: تزوج إحدى بنات هذا الرجل أي السيد أحمد بن فرج الله الفيتوري ولسوف يرزقكم الله بولدين يكونان من المهاجرين والأنصار، وإني امتثالاً لأمره صلى الله عليه وسلم أريد أن أخطب إحدى بنات أخينا السيد أحمد وكان للسيد أحمد بن فرج ثلاثة بنات إذ ذاك ففرح الإخوان وعمهم السرور بهذه البُشرى وقاموا يهنئون السيد أحمد بن فرج الله بهذه المِنة التي ساقها الله إليه ثم عقد الأمام السنوسي على السيدة فاطمة أحمد بن فرج وهي الوسطى من البنات، وكانت تلك الليلة مُزهرة وجامعة للخير العظيم.

دور الإمام السنوسي الكبير في الدعوة والإرشاد والإصلاح

ظل الإمام محمد بن علي السنوسي خلال الأعوام الثلاثة 1258هـ إلى عام 1261هـ في برقة ونواحيها من الجبل الأخضر يزور القبائل ويؤسس الزوايا حتى تم تأسيس ما ينوف عن عشرين زاوية كما كان طيلة هذه الأعوام يصلح ما بين القبائل المتنازعة باذلاً كل جهد لإزالة الأحقاد والضغائن من قلوب الرجال والتي طال أمدها وعمّ ضررها واعظاً ومُذكراً وراشداً إلى مكارم الخلاق، آمراً بترك العقائد الفاسدة والعادات القبيحة مثل تبرج النساء الذي كانوا يتباهون به والاختلاط الذي كانوا لا يعيرونه بالاً، ونهب بعضهم بعضا. وقتل النفس بأتفه الأسباب وضعف الانقياد لأوامر الدين والدولة، وكان الشيخ السنوسي يأخذ من الرجال العهود والمواثيق على أن تكون الزوايا السنوسية وشيوخها هي مرجعهم في مختلف قضاياهم ومشاكلهم، ويرشدهم إلى توجيه أبنائهم لتلقي علوم القراءة والكتابة وأمور الدين وحفظ القرآن من خلال الزوايا التي تأسست لتوعية الجيل، كما كان يأخذ عليهم العهد باحترام الزوايا وشيوخها الإخوان وأن يبذلوا جهودهم لمساعدة أنشطة الزوايا فيما هو ضروري لبقائها عامرة وكانت كل قبيلة تطلب إقامة زاوية لها يشترط عليهم الإمام السنوسي تلكم الشروط والتي كانت سبباً في بعث الروح الإسلامية في النفوس ونشر العلوم بين أبناء البلد.

وهذه هي الزوايا التي تم تأسيسها خلال العوام الأربعة المتقدمة في الجبل الأخضر وبرقة وباقي بقاع القطر الليبي البيضاء – شحات – بنغازي – مارة – درنة – أم الرزّم – العرقوب – توكرة

– طلميثة – الطيلمون – الفايدية – المخيلي – القصور – المرج – أم رُكبة - مزدة – طبقة – الرجبان – تونين – مصراتة – زليتن – زلة - مرزق – واو- زويلة – هون – سوكنة. وفي تونس زوايا منطقة الجريد.

ولادة السيد محمد المهدي السنوسي

بعد زواج السيد محمد بن علي السنوسي بالسيدة فاطمة أحمد بن فرج الله الفيتوري بعامين رزقه الله تعالى بمولود اختار له اسم محمد المهدي فكان لولادته شأن عظيم حيث عمَّ السرور طبقات الإخوان لتحقيق ما كانوا يتمنون من الذرية للإمام السنوسي. ولقد بُشِر به والده قبل ولادته حيث أخبر الإخوان ليلة عقده على والدته إن الله سيرزقه ولدين يكونان من المهاجرين في سبيل الله، ومن الأنصار لدين الله. وحين جاءته البُشرى بولادة ابنه المهدي قال: الآن ظهر الصباح، وطُفِيء المصباح ويعني بالصباح ابنه وبالمصباح نفسه. وكانت ولادة السيد المهدي أول ليلة من شهر ذي القعدة عام 1260 هـ ديسمبر 1844م عند طلوع الفجر بالمغارة التي سكنها والده في جبل ماسّة بالقرب من ضريح صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا رويفع بن ثابت الأنصاري بالجبل الأخضر، ولما وُلِد السيد محمد المهدي سماه والده أولاً باسم أستاذه السيد أحمد بن إدريس، وبقي مدة أسبوع بهذا الاسم وفي سابع ليلة أبدل اسمه باسم محمد المهدي وقال: سميته بهذا الاسم امتثالا لأمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث رأيته في المنام وقال لي: سمِّه محمد المهدي هذا ولقد بشره أستاذه السيد أحمد بن إدريس العرائشي بهذا الغلام وسماه بهذا الاسم قبل عشرين عاماً وقال لوالده: هو الخليفة بعدك. وبعد أن أتم المولود السعيد بضعة أسابيع عند والدته سلمه أبوه للشريف حسين أبو خضراء أحد تلاميذه لتقوم زوجه بإرضاعه.

تأسيس زاوية درنة

في منصف عام 1261 هـ يوليو1845 م انتقل الإمام محمد بن علي السنوسي من الزاوية البيضاء إلى بلدة درنة وهي بلدة لطيفة ذات أنهار وأشجار ومناظر جذابة على شاطئ البحر الأبيض وتبعد عن الزاوية البيضاء بمقدار 150كيلومتراً شرقاً، وتمتاز هذه المدينة أيضاً بجودة هوائها وعذوبة مائها وكثرة فواكهها ومحبة أهلها عموماً للحضرة السنوسية الحركة والدعوة السنوسية ورموزها فنزل الإمام السنوسي الكبير بها وأسس زاوية لتصبح مركزاً للدعوة الإسلامية والإرشاد والتوعية لدين الله تعالى ولقد ظل الأمام يقوم بواجب العمل الإسلامي في هذه المدينة عماً كاملاً وزيادة.

ولادة نجله الثاني السيد محمد الشريف السنوسي

كانت ولادته يوم الجمعة 26 رمضان عام 1262 هجري 18 سبتمبر 1846 ميلادي. وقد سمعت من أستاذي السيد أحمد الشريف السنوسي قوله: مكث سيدي ابن السنوسي في درنة زيادة على السنة كان عموم أهل درنة بدون تخصيص قد تعلقوا به وانتفعوا بعلمه ما عدا الشيخ محمد بللو فإنه كانت له منزلة بين أهالي درنة قبل وصول السيد ابن السنوسي إليها، وكان قد رأى لنفسه ميزة وبقى في درنة سنة كاملة لم يُكتب له زيارة الإمام السنوسي ولا مواصلته وبعد تمام السنة خطر للشيخ محمد بللو خاطر وقال هذا الرجل الذي عم صيته الوطن ومن أحد إلا ويثني عليه ويصله إلا أنا فهذا حرمان أي؛ ولكن يلزم عليَّ زيارته وأنوي بها وجه الله، فإذا وجدته مثل ما يقولون فيه من العلم والصلاح فسوف أحمد الله، وإذا كان خلاف ذلك فأجري ثابت حسب نيتي ثم هيأ نفسه وتوجه إليه، وعندما أُخبر السيد السنوسي بقدومه فرح وقال: ليدخل فلمَّا رآه الإمام ابتسم وبعد السلام عليه ومحادثته وجد الشيخ محمد بللو أن الإمام السنوسي حاله كما أخبر عنه الناس وأنه كاد أن يُحرم من علمه وفضله فتمسك به وانقطع إليه حتى صار من خواص الإخوان إلا أنه يحز في نفسه تلك الحادثة وهي "ضحك الإمام السنوسي حينما رآه أول مرة فتجاسر يوماً من الأيام على الإمام قائلاً: يا سيدي في خاطري شيء أريد ن أسألكم عنه فقال له معك الإذن اسأل فقال: يا سيدي حينما دخلت عليكم أول مرة ضحكتم عليَّ ! فما كان سبب ذلك لأنني اتهمت نفسي بأني اقترفت ما يوجب ذلك. فرد عليه الإمام السنوسي قائلاً: نعم الذي أضحكني هو وجودي ووجودك في درنة سنة كاملة لم نتقابل فيها ولما حان الأوان وأصبحنا على الحالة التي اجتمعت فيها أرواحنا يوم (ألست بربكم)[2] قدر الله لنا الاجتماع فتذكرت ذلك المعنى وضحكت فقال الشيخ محمد بللو: الحمد لله الذي جمع أرواحنا يا سيدي قبل خلقِنا فقال له الإمام السنوسي: الأرواح جنود مُجندة ما تعارف منها يوم ألست بربكم اتلف وما تناكر منها في ذلك اليوم اختلف، ثم تلا قوله تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا فهناك تعارف من تعارف وتناكر من تناكر.

هذا ولمَّا أتم السيد محمد المهدي رضاعه، وتمت ولادة السيد محمد الشريف جمعهما أبوهما بدرنة أولاً كما جمع الإخوان وقدم عليهم الشيخ محمد بن حمد الفيلالي وجعله شيخاً للزاوية البيضاء ومُقدماً على شيوخ زوايا برقة والجبل الأخضر وأمر الشيوخ والإخوان بإطاعته وتنفيذ أوامره وقال لهم: هو خليفتي عليكم. وأبقى زوجته السيدة فاطمة أحمد بن فرج الله الفيتوري مع

---

[2] قوله تعالى: وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا. الأعراف: 172

أولادها ما بين الزاوية البيضاء ودرنة وترك معهم بعض الإخوان، ووَكَّل على أهله وأولاده السيد عمران بن بركة والسيد محمد بن إبراهيم الغماري الكبير.

عودة الإمام السنوسي من الجبل الأخضر إلى الحجاز

تأسيس الزوايا السنوسية في القطر المصري

في منتصف عام 1262هجري يونيو1846 ميلادي. توجه الإمام السنوسي الكبير إلى الحجاز عن طريق البر من درنة إلى حدود مصر الغربية ثم واحة سيوة وكلما مر في طريقه على قبيلة من القبائل تعلقوا به وقاموا بخدمته وطلبوا منه إقامة زاوية لهم أُسوة بقبائل برقة والجبل الأخضر، فأسس في طريقه زاوية أُم الرزّم وزاوية دفنة ونزل ضيفاً على عبد الله بوسويحل شيخ مشايخ عائلة بومريم واستراح في بيته أياماً ولما دخل الصحراء الغربية أسس فيها زاوية حوش عيسى وأُم الرخم وزاوية النجيلة وزاوية الحقنة وقد مر في طريقه على عائلة عميرة فأكرموا نزله وقام بالإصلاح بينهم وبين خصومهم، ثم أسس زاوية الزيتون ثم قصد الواحات البحرية ومكث بها أياماً ليؤسس زاوية وتعرض لسيادته أعيان من أهل الفيوم وطلبوا عودته إليهم وزيارتهم فاعتذر لهم لضيق الوقت وقُرب موسم الحج وأمر بتأسيس زاوية لهم ثم تابع سفره إلى واحة الفرافرة ولم يتسنى له تأسيس زاوية، وقد أسسها بعده أبنه السيد المهدي. ثم توجه من الفرافرة إلى الواحات الداخلة حيث أسس بها زاوية سنوسية لأهل تلك الناحية ثم استكمل سيره إلى الواحات الخارجة وأمر بتأسيس زاوية بها ثم والى سفره إلى مديرية قِنا ومنها إلى القصير "وهو ميناء على البحر الأحمر" وكان هو الميناء الوحيد الذي يركب منه الحجيج إلى الحجاز سواءً إلى جدة رأساً أو إلى الوجه المقابل .

الوصول إلى المدينة المنورة

وركب الإمام السنوسي من ميناء القصير إلى ميناء الوجه، ففرح به أهل الوجه كثيراً وأقام عندهم أياماً قلائل وأمر بتأسيس زاوية لهم وذلك تلبية لرغبتهم وإلحاحهم ثم واصل المسير إلى ينبع ومنها عرَّج على المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وكان بها حضرة الخليفة بالحجاز السيد عبد الله التواتي ومعه كثير من الإخوان والعرب ينتظرون قدوم الإمام؛ وكانت زاوية المدينة لم تُؤسس بعد فنزل خارج المدينة في خيام ولم يمكث أكثر من ثلاثة أيام ثم اتخذ طريق الحجيج المعروفة إلى مكة المكرمة والتي تمر بموقعة بدر.

وصوله إلى مكة المكرمة

وصل الإمام محمد بن علي السنوسي مكة آخر شهر ذي القعدة وحضر حج عام 1262 هجري ديسمبر 1846 ميلادي. وكان أمير مكة وقتها هو الشريف محمد بن عون العبدلي وعند نزول

الإمام السنوسي بزاويته بجبل أبي قبيس انهالت عليه الوفود من بادية وحاضرة لأنهم كانوا قد عرفوه وعاشوا معه ولمسوا بركته ولذلك كانوا متعطشين لرؤيته وزيارته واكتساب دعواته هذا وقد ظل شريف مكة يزوره من حين لآخر.

بدأ الشيخ محمد بن علي السنوسي كعادته دروسه المفيدة في زاوية جبل أبي قبيس فأصبحت تلكم الزاوية كعبة طلاب العلم ومحبي الخير وانتشر صيته بين أهل الحرمين الشريفين وما بينهما من البوادي فلقد سخر الله له قلوب المحبين وأنار به بصائر من أراد الله به خيراً. وأخذ الإمام يتردد ما بين الحرمين الشريفين لينشر العلم الشرعي والدعوة والإرشاد من خلال تأسيسه لزوايا : جدة – بدر – المدينة المنورة – الحسنية – ينبع – رابغ – الوجه – أملج – المويلح – ضبا.

أمَّا الطائف فقد سبق أن ذكرنا أنه بدأ في تأسيسها قبل سفره الأول إلى المغرب العربي وقد شاع ذكر الإمام السنوسي في الحجاز واليمن والهند وجاوة والسودان والشام ومصر وانتفع به خلق كثير وهيأه الله لنفع الأمة على اختلاف طبقاتها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

الأمير عباس الأول بن طوسون بن محمد علي حاكم مصر

حينما كان الإمام محمد بن علي السنوسي بمكة عام 1242 هجري – 1826 ميلادي. وصل إليها الأمير عباس الأول بن طوسون مُرسلاً من قِبل جده محمد علي ليكون في مكة بعيداً عن عمه إبراهيم باشا بن محمد علي لأنه كان يخشاه عليه، وكانت للقائد إبراهيم سلطة نافذة خاصة بعد أن نجح في محاربة السعوديين ومحاربته للأتراك أيضاً وفعلاً مكث الأمير عباس في مكة مدة تزيد على ثلاثة عشر عاماً كان يتردد خلالها على السيد الإمام محمد بن علي السنوسي في زاويته بجبل أبي قبيس ويشرب عنده الشاهي الأخضر الذي كان لا يتوفر إلا في زاويته إذ كان يُجلب إليه من الهند والصين بواسطة تلاميذ الإمام السنوسي وكان الأمير عباس يشكو للإمام جبروت القائد إبراهيم ويخشى بطشه وغائلته فكان رد الإمام السنوسي للأمير عباس: أنت إذا بلغت من العمر كذا "وحدد له سناً محددة" تكون عزيز مصر. وكان عباس يستبعد ذلك فقدر الله وفاة القائد إبراهيم، فأرسل محمد علي حاكم مصر إلى عباس يستدعيه وولاه الحكم في حياته، ولذلك عقد عباس النية أن يبني للإمام السنوسي زاوية في القاهرة تكون وحيدة عصرها وزمانها وفعلاً قام بتخطيطها في محل محطة بوابة الحديد الموجودة بالقاهرة اليوم وبدأ في تشييدها وظل العمل جارياً مدة عام ونصف وقد بالغ في زخرفتها وفرشها واقتطع لها ثلاثمائة فداناً وجعل هذه المساحة وقفاً للزاوية ولم يبق إلاّ تسليمها لمن يعينه لها الإمام السنوسي ولكن السيد الإمام لم يكن له حرص عليها ولا رغبة فيها فقدر الله بوفاة الخديوي عباس

وتولية سعيد باشا وكان الأخير على العكس يكره الإمام السيد السنوسي فأمر بهدم مبنى الزاوية وجعل أرضها أميرية ملكاً للدولة كما أمر بإلحاق أرض الوقف إلى إدارة الأوقاف ولقد أقيمت فيما بعد على هذه الأرض محطة بوابة الحديد الموجودة اليوم بالقاهرة.

إمارة الشريف عبد المطلب بن غالب الثانية لمكة المكرمة

في عام 1267 هجري 1851 ميلادي. عزلت الحكومة العثمانية أمير مكة الشريف محمد بن عون العبدلي عن إمارة مكة ونفته إلى استانبول مع أولاده، وعينت مكانه الأمير عبد المطلب بن غالب الزيدي وكان الشريف عبد المطلب من المحبين المتفانين في خدمة السيد الإمام السنوسي ويُعد من تلاميذه لأنه كثيراً ما كان يحضر دروسه ومجالسه قبل توليته الإمارة وذلك خلال الأعوام 1242 هجري إلى 1255 هجري 1827 ميلادي إلى 1839 ميلادي. فبذل الشريف عبد المطلب لسيادته شتى أنواع المساعدات وأقطعه أرضاً واسعة للزوايا بجبل أبي قبيس وكذلك مجموعة من الجياد ومنحه صكاً بذلك ثم زاد وأقطعه أراض للوقف السنوسي في كل من جدة والطائف والمدينة المنورة كما سعى لدى السلطان عبد المجيد بن محمود العثماني وحصل له على فرمانٍ قرار سلطاني بإعفاء الزوايا السنوسية من العوائد الأميرية الضرائب الحكومية عموماً وأينما كانت، ودرج على ذلك بعده سلاطين وأمراء مكة وحكامها حتى هذا التاريخ "1386 هجري 1966 ميلادي". وخلال الأعوام السبعة التي أقامها الإمام السنوسي في الحرمين الشريفين وبعد عودته من الجبل الأخضر كثر أتباعه وأصبح اغلب خواص أهل الحرمين في سلك الدعوة السنوسية وتلاميذاً للشيخ السنوسي وتعلق به كثيرٌ من أهل البادية والحاضرة والأشراف.

وفود من الليبيين تزور الإمام بمكة والمدينة

في موسم الحج من كل عام كانت تفد على الإمام محمد بن علي السنوسي وفود عظيمة لزيارته وأخذ العلم الشرعي عنه واكتساب دعواته الصالحات ثم تلتمس منه العودة إليهم ومن جملة من وفدوا إليه مراراً لهذا الغرض الشيخ علي لطيوش شيخ قبائل المغاربة ببرقة البيضاء والشيخ بوشنيف الكِزَّة رُغم كبر سنه والشيخ يونس الكزة والشيخ بوبكر بوحدوث وابن عمه الشيخ عمر بوجلغاف والشيخ مقرب بوحدوث والشيخ الكاسح بوديهوم والشيخ الفضيل بوخريص ومن الحاضرة الحاج سنينة والحاج عبد الله شتوان والحاج محمد كاهية والحاج الأمين الشتيوي والحاج حمد بن علي والذي توفي بالحجاز والشيخ محمد بللوكل هؤلاء وفدوا إلى الحجاز في موسم الحج كما وفد إليه من طرابلس الحاج أحمد باشا المنتصر وكان أمر الوصول إلى الحج صعباً جداً وخطراً على النفس والمال ولكن محبتهم القوية وعقائدهم المتينة دعتهم إلى تحمل المشاق

واقتحام المخاطر لإتمام ركن الدين الخامس وكذلك للتشرف بزيارة الإمام السنوسي والتماس عودته إلى وطنهم الليبي.

زواج الإمام بالسيدة فاطمة البسكرية

تزوج الإمام السنوسي بمكة بعد عودته إليها من برقة بأمنا السيدة فاطمة البسكرية شقيقة السيد محمد حسن البسكري ووالدها هو السيد حسن بن السيد أحمد البسكري والذي وفد من الجزائر إلى مكة في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري - الثامن عشر الميلادي. فحج وجاور مكة المكرمة وقد رزقه الله بنتين وولد أما الأولى فهي السيدة فاطمة حسن البسكري زوجة الإمام السنوسي، والثانية قد اقترنت بالشيخ محمد وهو من الإخوان السنوسيين بمكة وهم موجودن بمكة ويشتهرون بلقب بيت عالم أما الإبن فإنه السيد محمد علي حسن البسكري. ولقد كان السيد حسن البسكري من الإخوان الذين اخذوا العلم عن السيد أحمد بن إدريس الكبير ثم التحق بمولانا السيد محمد بن علي السنوسي وقد تلقى على يديه العلم الشرعي ثم رافقه في سفره عند عودته إلى برقة.



صورة السيد محمد بن محمد علي بن حسن بن أحمد البسكري [3]

وفي عام 1267 هجري - 1851 - ميلادي. طلب حضور ابنه محمد المهدي من الجبل الأخضر وكان قد بلغ من العمر سبعة أعوام ، فقدم إليه برفقة السيد محمد بن إبراهيم الغماري الكبير بطريق البحر من بلدة درنة إلى بلدة خانية بجزيرة كريت وفي " خانية " التقى السيد المهدي بأحمد باشا المنتصر متوجهاً إلى الحجاز أيضاً لمقابلة والده ومن خانية توجه إلى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة. ومن القاهرة إلى مدينة السويس ومنها ركب مركباً شراعياً إلى ميناء ينبع وعند وصوله ينبع نزل في زاويتها وكان شيخها من الأشراف الهجارين فسأل السيد الغماري عن الغلام الذي معه فقال له: هو ولدي ثم غاب السيد الغماري لبعض الوقت وسأل الشريف " شيخ زاوية ينبع " الغلام الصغير السيد محمد المهدي وقال له : هل تعلم أن للسيد محمد بن علي السنوسي أولاد بالمغرب " ليبيا " فأجابه: نعم فقال له كم عددهم ؟ قال له :

[3] هذه الصورة ليست في أصل الكتاب، والسيد محمد البسكري الصغير هوشيخ زاويا الكفرة إبان حكم الملك إدريس السنوسي رحمه الله.. كان أبوه السيد محمد علي البسكري صنواً ورفيقاً للإمام محمد المهدي السنوسي وجده هوالسيد حسن أحمد البسكري الذي ورد ذكره في متن كتاب الفوائد الجلية حيث كان نزيل مكة ثم رافق السيد محمد بن علي السنوسي الكبير إلى برقة عند عودته الأخيرة للبلاد.

طلب الملك إدريس السنوسي من السيد محمد البسكري الصغير مرافقته في رحلته الأخيرة لتركيا للعلاج في مدينة بورصة التركية وقد رجع السيد محمد البسكري عائداً من رحلته بتوصية من الملك إدريس.. فوصل إلى بلدته الكفرة بيوم واحد قبل 1969/09/1 ميلادي.

إثنان فسأله : كم أعمارهم فقال له : الكبير مثلي والثاني أصغر منه فحمد الله وأثنى عليه وفي تلك الأثناء حضر السيد الغماري ، فقال له الشريف الهجاري : ولدك هذا أخبرني بأن سيدي محمد بن علي السنوسي له بالمغرب ولدان أحدهم في عمره والآخر أصغر منه ، فقال السيد الغماري : صدق. ثم توجه السيد الغماري بولده إلى المدينة المنورة وكان بها السيد محمد بن علي السنوسي فلما وصل السيد محمد المهدي إلى والده وسلم عليه رأى الإخوان من السيدين العجب العجاب رأوا الوالد يعامل ابنه الصغير معاملة الكبير ويُجِلهُ إجلال الكبار ويوقره ويخدمه ورأوا السيد المهدي الصغير الذي لم يتجاوز عمره السابعة يتأدب مع والده تأدب الشيوخ الأجلاء الكبار في كلامه وقيامه وخطابه وأخذه ورده واستئذانه ثم طلب الإمام السنوسي من أمين الروضة الشريفة ويقال له " المستسلم " أن يدخله في الروضة المطهرة الشريفة وأن يبقيه مدة ثم يعيده إليه. فأخذه وفتح له الروضة الشريفة وأدخله على جده الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ،وأدخله تحت الستارة الداخلية المُسدلة على حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والتي بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه سيدنا أبوبكر الصديق وسيدنا عمر الفاروق رضي الله عنهما وتركه ساعة زمنية لوحده ثم عاد إليه فوجده على هيئته التي تركه عليها والأنوار تشع من وجهه الكريم فأخرجه وأتى به إلى والده وقال له : ولدكم هذا صغير في جسمه كبير في أدبه وعقله نهنيك به وصادف أن حضر الشيخ الشريف الهجاري " شيخ زاوية ينبع " لزيارة أستاذه الإمام محمد بن علي السنوسي فوجد السيد المهدي نجله بجانبه فقال له : هذا ابني محمد المهدي فصاح الشيخ الشريف وقال : يا سبحان الله كيف ضَحِكَ عليَّ وقال إن لسيادتكم ولدٌ مثله فقال : صدق هو بنفسه مازجك ولم يكذب ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً فقال الشيخ الشريف : سبحان الله من كمَّلكُم كباراً وصغاراً.

طلبه لابنه الثاني محمد الشريف السنوسي

وبعد وصول السيد محمد المهدي إلى واله واستقراره معه رأى والده أن يرسل في طلب ابنه الثاني محمد الشريف السنوسي ومعه والدته وجده السيد أحمد بن فرج الله الفيتوري. فحضر في حج عام 1268 هجري 1852 - ميلادي. مع بعضٍ من الإخوان يتقدمهم الشريف العلامة السيد عمران بن بركة الفيتوري فنزلوا ميناء ينبع ثم قصدوا المدينة المنورة حيث وجدوا كبير الإخوان السنوسيين ومقدمهم الشيخ عبد الله التواتي فخرج للقاء السيد محمد الشريف ومن معه كما خرج للقائهم خارج المدينة الباشا التركي القائم بإدارة المدينة المنورة يصحبه بعض الجنود وبعض أعيان المدينة المنورة وذلك6 لما للسيد محمد بن علي السنوسي من حبٍ واحترام في قلوب العامة والخاصة ثم واصل السيد محمد الشريف رحلته إلى مكة المكرمة وفي حراسته

العلامة السيد عبد الله التواتي وبعد خروجهم من المدينة بأربعة مراحل كان الرجل العظيم عبد الله التواتي في موعد مع الشهادة بمكان يُقال له وادي الصفراء بالقرب من موقعة بدر الكبرى وذلك عندما اعتدى عليه اثنان من الأعراب من قبيلة حرب أثناء أدائه لصلاة الصبح وراء القافلة! وكان أول الإخوان الكبار وفاةً ودُفن رحمه الله أولاً في محله الذي استشهد فيه ثم أمر السيد محمد بن علي السنوسي بنقله إلى بدر ودُفن بجوار شهداء بدر رضي الله عنهم وعن الشيخ التواتي ذلك التقي العابد الورع الزاهد مُقدم الإخوان على الإطلاق وأما القاتلان من قبيلة تُسمى اللهبة نخذ من قبيلة عوف وعوف فرع كبير من قبيلة حرب فقد أصابهم بعد هذا الاعتداء مرضٌ لا يعرفون له إسماً قبله ! وهو انتفاخ في الجلد والجسم أولاً ثم يبدأ الجلد في التشقق ثم تتفتح بذلك جروح كريهة تسيل بالقيح والدم ويدوم الحال حتى يهلك المُصاب ولقد أفنى هذا الوباء من قبيلة اللهبة عدداً كثيراً من أفراد تلك القبيلة ولقد أصبحت هذه الحادثة عبرة لكل من سمع بها من القبائل من حرب وهُذيل فكانوا يتحاشون السنوسية وأتباعهم فلا يمسونهم بسوءٍ أبداً حتى أن أهل مكة والمدينة كانوا إذا أرادوا الحج أو الزيارة فلا يخرجون إلا مع الركب السنوسي لكي يأمنوا على حياتهم وأمتعتهم.

الجيل الأول من شيوخ الإخوان السنوسية

انتسب الشيخ محمد فالح الظاهري المهنوي إلى الدعوة السنوسية عام 1266 هجري 1850 ميلادي. وتتلمذ على يد الإمام محمد بن علي السنوسي كما انتسب إلى السيد السنوسي أيضا وفي نفس العام التقي الصالح السيد أحمد بن عبد القادر الريفي المازوني القلعي هو أصلاً من مازونة إحدى مدن الجزائر وانتقل والده إلى القلعة بالريف تبع سلطنة مراكش فهومازوني الأصل قلعي الولادة ريفي الشهرة وكان عمره حين التحاقه وأخذه العلم عن الإمام السيد السنوسي اثنين وعشرين عاماً حيث كانت ولادته عام 1244 هجري 1828 ميلادي. وهو آخر الإخوان الكبار وفاةً حيث كانت وفاته سنة 1329 هجري 1911 ميلادي. كما أخذ عنه الفقيه الصالح الحافظ لكتاب الله بالروايات السبع محمد بن مصطفى المدني التلمساني رفيق السيد احمد الريفي.

وتقدم أن ذكرنا بأن الشيخ عبد الرحيم المغبوب والشيخ أبوسيف مقرب قد أخذا العلم عن الإمام السيد محمد بن علي السنوسي في الزاوية البيضاء بالجبل الأخضر ببرقة عام 1258 هجري 1842 ميلادي. كما التحق به في نفس العام السيد علي بن عبد المولى من قابس بتونس فأصبح هؤلاء السادة من الإخوان السنوسية هم دعامة الجيل الأول وهم : السيد عمران بن بركة - السيد أحمد الريفي – السيد محمد المدني – السيد عبد الرحيم المحبوب – السيد يوسف

مقرب - الشيخ فالح الظاهري - السيد علي بن عبد المولى - السيد محمد بن حسن البسكري - السيد محمد المُثنى الغدامسي العباسي.

أما بقية السادة الإخوان وكلهم بررة كرام وجهابذة أعلام كانوا يضطلعون بمهام الأمور اللازمة والضرورية للحركة السنوسية كمشيخة الزوايا والأسفار لنشر الدعوة وإصلاح ذات البين والجهاد في سبيل الله وترتيب أمور الحياة من زراعة وتربية مواشي وجلب المستلزمات الضرورية من الأرزاق والملابس إلى غير ذلك. وعلى العموم كان إخوان الحركة السنوسية ينقسمون إلى أربعة أقسام وهي:

1 - الملازمون للإمام السنوسي والقائمون بالأمور الإدارية والتعليمية في المركز الرئيسي.

2 - القائمون بإدارة الزوايا " شيوخ الزوايا ".

3 - القائمون بالسفارة ونشر الدعوة والتفتيش على الزوايا وما يتبعها.

4 - القائمون على الزراعة وتربية المواشي والصناعات المختلفة.

الزاوية السنوسية تجربة رائدة لمجتمع إيجابي

لقد كانت كل زاوية تحتوي على كل متطلبات الحياة الضرورية فيكون بها المسجد للصلاة وتعليم القرآن قراءة وحفظاً. وفي أغلب الأحيان يكون شيخ الزاوية هوإمام المسجد والمعلم حتى يتهيأ من المتعلمين من يستطيع القيام بهذه الواجبات فيقيمه بدلاً منه ويقوم إمام المسجد كذلك بإرشاد الناس وإصلاح ذات البين ودلالتهم على الله. كما يكون بكل زاوية مكانٌ مُعد للضيوف من عابري السبيل وينتشر في الزاوية الصناع المهرة أصحاب المهن المختلفة ، ويوجد بالزاوية المزارعون مع الآلات اللازمة للحرث والزرع والحصاد وأيضاً الدواب اللازمة للخدمة من خيل وإبل هذا وتقوم كل زاوية بالإشراف على السكان المجاورين لها والقبائل المحيطة بها وكل زاوية تبعث بقسطها مما هولازم وضروري للمركز الرئيس بعد حساب حاجتها وحسب مستطاعها من الحبوب والمواشي والأرزاق المختلفة وهكذا كانت حياة الزوايا السنوسية وحيويتها ومساهمتها في سياسة أمور الدنيا والدين.

عودة السيد محمد بن علي السنوسي الأخيرة من الحجاز إلى ليبيا

في آخر عام 1268 هجري 1852 ميلادي. وبعد وصول نجله الثاني السيد محمد الشريف إلى الحجاز بصحبة جده لأمه السيد أحمد بن فرج الله الفيتوري وصحبة والدته يتقدمهم حضرة السيد عمران بن بركة الفيتوري وحج الجميع بمعية الإمام السيد محمد بن علي السنوسي وكانت هذه هي آخر حجة له وهي التي اجتمع فيها معه ابناه محمد المهدي وشقيقه محمد الشريف وكثير من الإخوان والعيان والمحبين هذا وقد قدم من برقة في هذا الموسم كثير من أعيانها ووجهائها

وشيوخ قبائلها إذ كان مرادهم وقصدهم بعد أداء فريضة الحج هو دعوة الإمام السنوسي الكبير للعودة معهم إلى الديار الليبية ، وأمام تمسك أهل برقة بالإمام السنوسي – كذلك أهل الحرمين الشريفين أصروا على بقائه بينهم – وفي الحقيقة أن إقامته في الحرمين الشريفين لها مبررات كثيرة أولها قدسية هذه الأماكن ثانياً تمتعه بالحج وزيارة المدينة المنورة سنوياً ثالثاً اجتماعه ولقاؤه بمختلف طوائف الإسلام وبث دعوته بينهم وإرشادهم إلى الحق وطريقه. ولكن العناية الإلهية سبقت لأهل ليبيا لتكون آخر حياة هذا الإمام المُصلح العظيم في بلادهم ولينالوا شرف خدمته والانتساب إلى دعوته وطريقته وليسعدوا ببقاء ذريته الباركة بينهم لتكون لهم قدوة وخير. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فاستخار الإمام ربه سبحانه وتعالى وسأله إرشاده إلى الطريق التي يرضاها سبحانه وتعالى والتي فيها نفع الأمة المحمدية فأراه الله ما شرح به صدره وقوى عزيمته على العودة إلى ليبيا فقام بترتيب أموره بالحجاز وعين شيوخ الزوايا الحجازية وزودهم بما يلزمهم وحرضهم على سلوك طريقته في إرشاد العباد ودلالتهم على الله والتمسك بسنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذل النصح للمسلمين أينما كانوا. وأناب عنه في زاوية أبي قبيس السيد محمد بن إبراهيم الغماري الكبير ومساعده الشيخ حامد خيره ثم أبقى ابنيه ووالدتهم وجدهم بمكة وطلب من الشيخين الغماري الكبير و أحمد البقالي القيام بتعليم ولديه القرآن الكريم والعلوم الشرعية ، وكان عُمر السيد المهدي تسعة أعوام وشقيقه محمد الشريف سبعة أعوام ، وعَيَّنَ الشيخ محمد بن الشفيع شيخاً للزاوية السنوسية بالمدينة المنورة هذا ولم يصحب معه في هذه الرحلة سوى زوجته السيدة البسكرية وتجهز من مكة حاملاً معه جميع كتبه وأثاثه وفي صحبته الإخوان الملازمون لسيادته وأعيان برقة وشيوخها الذين حجوا معه. وتوجه إلى المدينة المنورة في النصف الأخير من عام 1269 هجري 1853 ميلادي. وأقام بها ما زاد عن الشهر.

طريق العودة

غادر الركب المدينة المنورة إلى ينبع ثم ركبوا البحر إلى الوجه ثم إلى القصير ثم إلى مديرية قنا ومنها إلى الواحات البحرية – وكان يجول في خاطر الإمام زيارة القدس والهجرة إليه مدة من الزمن ولكن عموم الإخوان والأعيان كانوا يريدون موالاة سفره إلى ليبيا وفي بداية رحلته جمع الإخوان وقال لهم: رأيت في منامي البارحة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لي" من يُرد الفوز الأكبر فعليه بالجبل الأخضر " ففرح الإخوان والأعيان بهذه البشارة وقاموا يتعانقون ويهنئون بعضهم بعضا. وكان سرورهم لا يُوصف حيث عم السرور وفازوا بما رغبوا فيه - وبعد قنا توجه إلى نجع حمَّادي ثم إلى الفرافرة ثم إلى الواحات البحرية ثم نزل كرداسة

حيث مكث بها ما ينوف عن الشهر والنصف وسمع بقدومه محبوه فوفدوا إليه من القاهرة ومن عموم جهات القطر المصري ومن الصحراء الغربية ثم سافر إلى واحة سيوة وذلك لقدوم شيوخها إليه في كرداسة وتعلقهم وتمسكهم بزيارته لهم قبل توجهه إلى برقة فوافقهم أول الأمر ثم اعتذر لهم وذلك بسبب خوفه على الإخوان الذين معه من الإصابة بحمى سيوة ووعدهم بزيارة سيوة في أول فرصة ممكنة. ولذلك كان يقول قبل وفاته بالجغبوب" نريد أن نسافر إلى سيوة والعْقُبَة، والعقبة هي الصحراء الغربية بحدود مصر ولكن عاجلته المنية رحمه الله.

وصوله إلى العِزيَّات ومدة إقامته بها

وصل الإمام السنوسي والذين معه قصر العِزيَّات آخر عام 1269 هجري 1853 ميلادي. حيث مكث بها ثلاثة أعوام متوالية وكان خلال هذه الأعوام الثلاثة يتردد على بعض الزوايا ويتجول ما بين القبائل يحل مشاكلهم ويقوم بتأسيس زوايا لهم وقد زار منطقة الجبل الأخضر مراراً وجال في صحراء برقة يتفقد الزوايا ويتمم نواقصها وفي نهاية عام 1270 هجري 1854 ميلادي. قدم إلى سيادته من الحجاز الشيخ محمد بن الشفيع والذي سلم أمانة الزاوية السنوسية بالمدينة للشيخ أحمد البقالي الذي كان معلماً للسيد المهدي وشقيقه محمد الشريف.

ومنذ أن وصل الإمام السنوسي الكبير إلى العزيات وجهوده الإصلاحية متوالية. فكانت رسله من الإخوان تجوب أنحاء ليبيا ما بين برقة وطرابلس وفزان للوقوف على الزوايا وشؤونها وعلى كل ما من شأنه الإصلاح للإخوان والقبائل والاتصال بالحكام والتفاهم معهم ومساعدتهم وتفقد أحوال الرعية والسكان فعمَّ الأمن والطمأنينة ونُفذت الأحكام السلطانية وانقادت لها القبائل التي كانت مستعصية على الدولة العثمانية فأمنت الطُرُق وعَمُرَت المساجد وفُتِحَت المدارس الكتاتيب في المدن والقرى والزوايا ونشطت الحركة الدينية والإصلاحية وتفيأ الناس ظلال الأمن وشعروا بالاستقرار فتوجهوا إلى إصلاح أمورهم المعيشية وواجباتهم الدينية فأدخلوا أبناءهم الزوايا السنوسية والكتاتيب وتسابقوا إلى ذلك

دور الحركة السنوسية في استتباب الأمن والاستقرار في ربوع ليبيا

باركت الحكومة العثمانية تصرفات السيد الإمام السنوسي الكبير وأقرتها حسبما أرادها حيث رأت الحكومة كمال الانقياد من القبائل والتي كان لا يقر لها قرار ولا يُؤمن لها جانب إذ كانت دائماً في اضطرابات ومصادمات مع الحكومة العثمانية وكم من جنودٍ هلكت وأموالٍ صُرفت دون جدوى ولقد كان حكم العثمانيين لا يتعدى دواخل المدن وحتى هذه كانت لا تسلم من المشاغبات والمهاجمات المتعبة والمهلكة. حتى حلَّ هذا السيد العظيم بالوطن وانتشرت زواياه وإخوانه. فزالت الفوضى والفساد من الأرض بفضل الله تعالى أولاً ثم بجهود هذا

المصلح العظيم. ولذلك تركت الحكومة العثمانية له أمور البلاد الداخلية كلياً وأصبحت تنفذ أحكامها بواسطته دون أي عناءٍ وكان رضي الله عنه شديد العناية بكل ما من شأنه رفع شأن الخلافة وحفظ كيانها عن صدقٍ وإخلاصٍ لا عن سياسة كما يقول المُغْرِضُون - جزاه الله عن الأمة الإسلامية خير الجزاء - وعقب وصول الإمام إلى العزيات بدأ يفكر قي اختيار محلٍ يصلح لأن يكون مقراً دائماً ومركزاً عاماً يجتمع فيه أتباعه وأنصاره يرغب في أن يكون هذا المركز بعيداً عن المدن والضوضاء ولذلك انتدب وفداً كبيراً من الإخوان يرأسهم حضرة الحسيب النسيب الشيخ عمران بن بركة فتردد هذا الوفد في الصحراء شرقاً وغرباً حتى اهتدى إلى البقعة التي بني بها الجغبوب ورجع هذا الوفد إلى الإمام السنوسي وأخبره بما توصل إليه فأعاد هذا الوفد وأشرك معهم غيرهم للتأكد من صلاحية المكان ومناسبته من جهة الموقع الجغرافي والطقس فعاد الوفد مقتنعاً بما قررته الهيئة الأولى فاقتنع السيد السنوسي واستحسن رأيهم وقال لهم : هذا هوالمحل الذي حصل فيه الإذن ، ثم أمر الإخوان المختصين بإتخاذ الأسباب اللازمة للشروع في بناية زاوية الجغبوب وتهيأت الأسباب وبدأ العمل أول عام 1271 هجري 1854 ميلادي. واستمر العمل مدة سنتين كاملتين.

تأسيس الجغبوب والانتقال إليه

قرر الإمام محمد بن علي السنوسي الإنتقال من زاوية العزيات إلى الجغبوب فتوجه فاتح عام 1273هجري سبتمبر 1856 ميلادي. ورَحَلَ معه جمعٌ عظيم من الإخوان والأعيان والمريدين وطلاب العلم يُقَدّرون جميعهم بما يزيد عن الألف وكانت هذه الجموع كلها أيادٍ عاملة فبعد الوصول إلى واحة الجغبوب بدأ الإمام السنوسي في إتمام ضروريات تأمين الراحة للطلبة والإخوان والمجاورين. وفي غضون مدة زمنية قصيرة أضحت الجغبوب قرية كاملة المنافع والمرافق آهلة بالسكان عامرة بالقرآن تتعاقب عليها القوافل والركبان حتى صارت روضة نضرة في جوف الصحراء القاحلة بتوفيق الله تعالى ثم همة هذا الإمام الذي جعله المولى سبحانه للهداية مناراً وأنار به قلوباً وبصائر وهدى به أقواماً كانوا في دياجير الجهل حيارى. فكم من بدعة أماتها وسنة أحياها ومعارف نشرها دون دعاية ينشرها أو دراهم ينثرها أو قوة يستعملها. وإنما صدق عزيمة وإخلاص نية وعمل متواصل بلا كلل وتمسك بأوامر الدين الإسلامي الحنيف الصحيح واجتهاد في دعوة الخلق إلى ما فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية فسبحان من وفق من شاء لما شاء.

هذا وبعد أن استقر السيد السنوسي الكبير في الجغبوب انتدب حضرة الشيخ عبد الرحيم المحبوب للذهاب إلى مكة لإحضار ابنه الكبير السيد محمد المهدي فذهب إلى الحجاز وقدم به في

أول عام 1274 هجري 1857 ميلادي. عن طريق جدة السويس بحراً ثم القاهرة سيوة الجغبوب براً.

وصول السيد محمد المهدي من الحجاز إلى الجغبوب

وكان وصوله إلى الجغبوب في 12 ربيع الأول سنة 1274 هجري نوفمبر 1857ميلادي. وكان يوم وصوله يوماً مشهوداً عمَّ سروره جميع الإخوان والمنتسبين وخرج كل مَن في الجغبوب لملاقاته لمسافة يومٍ تقريباً ولعبت الخيول والهجن وأقيمت الأفراح. كما خرج والده لملاقاته خارج الجغبوب وتسامعت القبائل وشيوخ الزوايا في الجبل الأخضر وبرقة وطرابلس وفزان فتسابقوا على الوفود إلى الجغبوب لزيارة السيد محمد بن علي السنوسي وتهنئته بقدوم ابنه الكبير ومعلوم أن المسافات ما بين هذه الأماكن وما بين الجغبوب شاسعة جداً ومخيفة إلا أن عظيم محبتهم ذلل أمامهم تلك الصعوبات وقصَّر تلك المسافات وبعد وصول السيد محمد المهدي أمره والده بمواصلة دراسته على العلماء من الإخوان وهم السيد عمران بن بركة الفيتوري والسيد احمد عبد القادر الريفي والسيد محمد بن إبراهيم الغماري الصغير والشيخ عبد الرحيم المحبوب وهذا مع اشتراكه مع حضرات هؤلاء السادة الأجلاء في تلقي العلوم المختلفة عن والده إمام الجميع رضي الله عنه.

قدوم السيد محمد الشريف من الحجار إلى الجغبوب

ولما تمت سنة 1274هجري يوليو 1858 ميلادي. رأى الإمام السنوسي الكبير طلب ابنه الثاني السيد محمد الشريف من الحجاز فأرسل إليه وقدم إلى الجغبوب بصحبة جده لأمه السيد أحمد بن فرج الله الفيتوري ووالدته وبعض الإخوان ورئيس هذه الجماعة هو الشيخ حامد محمد خيره الطائفي شيخ زاوية قبيس الذي خلفه فيها السيد محمد بن علي السنوسي بعد وفاة شيخها الأول السيد محمد ابن إبراهيم الغماري الكبير، وقد كان الشيخ حامد مساعداً له خلال خمس سنوات كما تزوج إحدى بناته وأنجب منها أولاده الذين تولوا مسئولية الزاوية بالتوالي وهم الشيخ محمد السنوسي حامد والشيخ علي حامد والشيخ محمد الشارف حامد. وكان وصول السيد محمد الشريف ومن معه في 29 من ذي الحجة 1275 هجري يوليو 1859 ميلادي. وكان لوصوله فرحة شاملة وجرى في ذلك اليوم مثل ما جرى لشقيقه الأكبر السيد محمد المهدي من المظاهر والسرور التي عمت جميع أتباع السنوسيين أينما كانوا. وبعد وصول السيد محمد الشريف واستراحته قليلا أمره والده بمشاركة أخيه السيد محمد المهدي في الأخذ عن حضرات الشيوخ الذين تقدم ذكرهم. ثم رأى والدهم أن يزوج ابنيه في حياته وأن يشاركهم سرورهم بذلك مع

كونهما صغيرين في السن إذ إن عمر السيد محمد المهدي لم يتجاوز السادسة عشر والسيد محمد الشريف الرابعة عشر.

زواج السيد محمد المهدي وشقيقه السيد محمد الشريف

وتم عقد قرانهما السعيد في شهر محرم فاتح عام 1276 هجري أغسطس 1859 ميلادي. على كريمتي العلامة الجليل الشيخ عمران بن بركة الفيتوري الزليتني الطرابلسي وقد غمر السرور السيد الوالد محمد بن علي السنوسي بهذا الزواج السعيد وارتاح له حيث كان يشعر بدنو أجله وكان يدعو ربه ليل نهار ليبلغه زواج ابنيه قبل وفاته واستجاب الله بفضله لدعاء الشيخ واطمأن على ابنيه العزيزين عليه وقد تم له ما أراد هذا ولقد كان رحمه الله يعاني آلاماً كثيرة ولكنه دائماً ما كان يتجلد لها ويخفي عن إخوانه وبنيه ما يشتكيه فيقوم ويقعد ويلقي الدروس ويقابل زائريه ويقف بنفسه على أعمال تخطيط الجغبوب وتنظيماته ويوالي بعوثه من الإخوان إلى مختلف الأقطار لنشر دعوته الإصلاحية وتثبيت دعائمها والإشراف على إتمام ما بدأه وأسسه من المساجد والزوايا في ليبيا ومصر والحجاز وتونس والجزائر وأطراف السودان وإرسال الرُسل إلى حكام هذه الأقطار وإلى الخليفة العثماني للحصول على الأوامر اللازمة منهم وذلك لضمان حماية وراحة من عينهم خلفاء عنه من الإخوان وعدم تعرضهم لأية اعتداءات إلا أنه بعد انتقاله من زاوية العزيات إلى الجغبوب اشتدت عليه وطأة المرض وخاصة في السنة الأخيرة 1275 هجري يوليو 1859 ميلادي. حيث اضطره المرض إلى التقليل من نشاطه الدؤوب فكان يلازم الفراش أحياناً ويضطر للخروج أحيانا أخرى. وهكذا دواليك حتى هل شهر محرم الحرام فاتح عام 1276 هجري أغسطس 1859 ميلادي. حيث اشتد به الألم فلازم فراشه نحو عشرين يوماً كان خلالها يتكلف ويجعل ندواته وإرشاده ودروسه في بيته ومن فوق فراشه. فرتب الأمور ووزع الأعمال وأقام خلفاء الزوايا وكون في الجغبوب مجلساً من كبار إخوانه لتصريف الأمور وإدارتها وأوصاهم بتقوى الله وطاعته والنصح لله في عباده ودلالتهم عليه كما أمرهم وأوصاهم بالالتفاف حول ابنيه الصغيرين والنصح لهما وشد أزرهما.

وفاة السيد الإمام محمد بن علي السنوسي

في يوم الأربعاء 9صفر 1276 هجري 8 أغسطس 1859 ميلادي. دعاه مولاه العظيم سبحانه إلى جواره الكريم فصعدت روحه الطاهرة راضية مرضية هادئة مطمئنة بعدما أدَّى الأمانة فالله نسأل أن يشمله بواسع رحمته وينزله فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين.

لقد ترك الإمام السنوسي الكبير عُلماءً فطاحل تخرجوا من مدرسته وسلكوا طريقه وبايعوه على الاستماتة في سبيل تبليغ ونشر دعوته. وقد صدقوا فيما عاهدوا الله عليه فلما توفي وخلف ولديه الصغيرين اجتمع هؤلاء الجهابذة الأعلام وقرروا الالتفاف حول السيدين الصغيرين وأصبحوا ينظرون إلى السيد محمد المهدي وشقيقه نظرتهم إلى شيخهم ومربيهم ومرشدهم. فشبَّ السيدان الجليلان على الكمال والاستقامة وسلكا مسلك والدهما وطريقه حذو القذة بالقذة ولم يخرجا عن الخطة التي أسسها ورسمها لهما والدهما كما حفظا عهده في أتباعه وإخوانه وخلفائه فكانا يتمان ما بدأه ويحققان ما رسمه وينفذان ما أمر به. كما كانا يستشيران كبار الإخوان ولا يُصدران أمراً إلا عن رأيهم ومشورتهم وموافقتهم.

ما خلَّفه الإمام محمد بن علي السنوسي من الزوجات

تُوفي رحمه الله عن ثلاث زوجات أولاهن السيدة خديجة الحبشية تركها في المدينة المنورة وتوفيت بها والثانية السيدة فاطمة بن فرج الله الفيتوري والدة السيد محمد المهدي وشقيقه السيد محمد الشريف وكانت وفاتها بواحة الجغبوب والثالثة هي السيدة فاطمة البسكرية شقيقة السيد محمد البسكري وكانت وفاتها أيضاً بالجغبوب.

صفاته الخُلقية والخَلقِيَّة

كان السنوسي الكبير أزهر اللون مدور الوجه أقنى الأنف خفيف العارضين واللحية أشقر الشعر معتدل القامة رقيق الحاجبين أزجهما واسع الثغر فصيح اللسان جهوري الصوت مع رقة فيه واسع العينين وفي أحدهما انكسار لا يكاد يظهر، طويل العنق عريض الصدر والمنكبين من رآه مرة هابه وإذا خالطه وحدثه ألِفه وأحبه.

هوايته

كان يهوى اقتناء جياد الخيل ويجيد ركوبها إلى درجة لا يجاريه فيها أحد فكان باستطاعته التقاط السيف أو الرمح من الأرض وهو على صهوة جواده أثناء عَدْوِهِ. كما كان له القدرة على الوقوف على رجليه وعلى رأسه من على ظهر الجواد كل ذلك أثناء عَدْوِهِ ويستطيع إصابة ما يريده من الرمي إذ كان يحُض إخوانه وأتباعه على تعلم الفروسية ويقول لهم إن ذلك من صميم السُنة.

مؤلفاته

من مؤلفاته:

إزاحة الأكِنة في العمل بالكتاب والسُنة.

إشراق شموس السُنة اليقينية على تراكم غياهب اعتراضات الأربعينية.
مواهب القيوم في تذليل روضة الفُهُوم.
إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن.
البدور السافرة في اختصار الشموس الشارقة.
بغية السؤل في الاجتهاد والعمل بحديث الرسول.
بغية المقاصد في خلاصة المراصد.
الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية.
تحفة المحاضرة في آداب التفهم والتفهيم والمناظرة.
التُحف المنيفة المشتملة على زبدة بعض محققي مذهب أبي حنيفة.
رسالة الفلاح في الفتح والنجاح.
التحفة الشريفية في أوائل مشاهير الأمهات الحديثية.
ريحانة المحبوب في عمل السطوح والجيوب.
السلسبيل المعين في الطرائف الأربعين.
سوابغ الأيدِ في مرويات أبي زيد.
سيف النصر والتوفيق.
غاية السلوك والتحقيق.
الشموس الشارقة في تراجم مشائخي المغاربة.
المشارقة وفحم الأكباد في مواد الاجتهاد.
قُرةُ عين أهل الصفا في الصلاة على المصطفى.
الكواكب الدرية في أوائل الكتب الثرية.
لوامع الخذلان على من لا يعمل بالقرآن.
كتاب عصمة الرسل.
مجموع مسانيد أبي حنيفة.
مختصر بغية الطلاب في علم الأنساب.
مختصر سند الإمام أحمد.
مختصر المواهب البارية الأصولية في العمل بالكتاب والسُنة.
المسائل العشر.
مفتاح الجفر الكبير.

منظومة الملوك إلى ملك الملوك.

المواهب السرية في منتقى الأوضاع الحرفية.

مواهب القيوم في نزيل روضة الفهوم.

نزهة الجِنان في أوصاف مفسر القرآن.

هداية الوسيلة في إتباع صاحب الوسيلة.

رسائل في ختم الكُتب الستة.

سند الإمام مالك والإمام الشافعي.

شرح البسملة في اثني عشر علماً. انتهى [4]

الإمام محمد المهدي السنوسي وخلافته لوالده

إن الله سبحانه وتعالى لمَّا خلق الخلق اختار مما أوجد من الأكوان أشياء ميزها عن غيرها من مثيلاتها. فاختار من البشر الرسل الكرام والأنبياء والعلماء والقادة والعظماء مع كون الجميع بشراً كما اختار من المعادن أخيرها وأنفسها كالذهب والجواهر. يختص برحمته من يشاء [5] وبهذا الاختصاص قدَّر الله في سابق علمه القديم أن يكون السيد محمد المهدي السنوسي من هذا النوع المختار من البشر فولِدَ عظيماً ونشأ عظيماً وأجرى الله على يديه أموراً عظيمة وإصلاحات كبيرة نشأ في حجر والده فكان يُجِله ويحترمه ويُقدمه على نفسه ويُكْبِرُه ويقول له: نحن من أتباعك، وذلك قبل أن يعرف منه علماً أو عملاً ثم جلس في مقام والده بعد وفاته وعمره لم يناهز السادس عشر ربيعاً. فكان كاملاً في عقله وعلمه وتصرفاته وإدراكاته. لم يُعرف عنه طيش الشباب ولا أُبهة الحكام بل كان أمره كله جد لذلك كبر في أعين إخوان أبيه وعموم أتباعه وعظمت هيبته في قلوبهم فعمَّت به الفائدة وتوسعت الدعوة واطمأنت النفوس والأتباع. ولقد كان وهو الأخ الأكبر يحنو على أخيه الأصغر محمد الشريف ويلفه بعنايته ورعايته فذابت الفوارق بينهما في أعين الآخرين حتى أصبحوا يقولون "قال أسيادنا ونطلب من أسيادنا وحضر أسيادنا." بدون تفريق بينهما في أي شيء أبداً وكل ذلك بتوفيق من الله تعالى وتسديده . اشتركا في الأمر وتقاسما المسئولية فكان الأمام السيد محمد المهدي بصفته الأكبر هو المرجع لأخيه وإخوان أبيه هذا ولقد كان السيد محمد الشريف لأخيه بمثابة اليد المؤازرة وعينه

---

[4] "من كتاب هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين – المجلد الأول – صفحة 181 – لمؤلفه إسماعيل باشا البغدادي".

[5] * روى البخاري في صحيحه حديث الصحابي الجليل، أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: من أكرم الناس؟ قال: أكرمهم: أتقاهم. قالوا: يا نبي الله، ليس عن هذا نسألك. قال: فأكرم الناس يوسف نبيُّ الله، ابن نبيَّ الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: أفعن معادن العرب تسألونني؟ قالوا: نعم، قال: فخياركم في الجاهلية، خياركم في الإسلام إذا فقهوا. هذا الحديث من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام، ولنا وقفة، مع معادن الناس خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا.

الساهرة فلا يكون رأي أو أمر إلا عن طريق أخيه السيد المهدي وبعد أخذ رأيه ومشورته وموافقته كل ذلك منطلقه المحبة لا التآمر والتحكم وفي الحقيقة إن المواهب التي منَّ الله بها على السيد محمد المهدي والأخلاق التي حلاَّه بها وجبله عليها قد شملت القريب والبعيد ومَلَكَ بها قلوب العباد من حاضرٍ ومن بادٍ. حتى أصبحوا يُطلقون عليه كلمة "المهدي" بمعناها المفهوم وذلك مع تباعده عنها ونكرانه لها ولومه الشديد لمن يقولها أويتفوه بها .

مكث السيد محمد المهدي السنوسي بعد وفاة أبيه في بلدة الجغبوب سبعة وثلاثين عاماً لم يخرج خلالها من الجغبوب يوماً واحداً ومع ذلك كان أمره يشغل بال الدول والحكام وكان أتباعه في ازدياد مضطرد يوماً بعد آخر كما كانت مهابته ومحبته تملك شغاف القلوب راسله الحكام في إستانبول والحجاز واليمن ومصر والمغرب وبعض ملوك أوروبا رَغبَة في التودد إليه والتقرب منه فلم يكترث بأحدٍ منهم ولم يشغل باله بهم كما لم يقدم على الارتباط بأحدٍ منهم فمثلاً قامت في زمنه ثورة عرابي باشا في مصر سنة 1299 هجري 1882 ميلادي. كما قامت دعوة محمد أحمد المهدي في السودان سنة 1300 هجري 1883 ميلادي. وراسله الاثنان وطلبا منه المساعدة والمساهمة وألحا في استمالته فلم يلتفت إليهما وقال كلمته المشهورة: إن هذه الحركات أسبابها حظوظ نفسية ونهايتها محتومة وكانت أوروبا قد بدأت سباقاً مستعراً للاستيلاء على الممالك الإسلامية ولتمزق جسد الأمة الواحد فتحيله دويلات مستعمرة تتقاسمها فيما بينها. وأخذ كلٌ منهم يستولي على نصيبه من التركة وكان أغلب السودان "أفريقيا" من نصيب فرنسا فبعد احتلالها للجزائر في شهر ربيع الأول 1246 هجري 8 سبتمبر 1830 ميلادي. بدأت في بسط نفوذها على أراضي السودان وكان أتباع السيد محمد المهدي السنوسي ينتشرون وينشطون في السودان بكثرة حيث كانوا ينشرون الدعوة الإسلامية بين القبائل وفي القرى الكثيرة المتناثرة فوقفت القوات الفرنسية وجيوشها حجر عثرة أمام الدعوة لدين الله وصدت عن السبيل !! فحرك هذا العدوان مشاعر السيد المهدي السنوسي وقرر الوقوف في وجه العد والمعتدي ومنازلته. فخرج من الجغبوب أولاً إلى الكُفْرَة ثم منها إلى بطن السودان "تشاد" ورفع علم الجهاد في وجه فرنسا المعتدية غضباً لله تعالى وسعياً لرفع راية لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله والتقى الجمعان وحميَّ الوطيس طيلة سنة وبضعة أشهر فكان جهاداً لله تعالى لا لغرض سلطة أو ملك أو استغلال بل غيرة دينية وحمية إسلامية وكان الإمام المهدي عازماً على الاستمرار في رفع راية الجهاد المُقدس غير أن إرادة الله تعالى اقتضت غير ذلك فكان أن عاجلته المنية في واحة " قَرْو" بتشاد. والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا رادَّ لقضائه ولا مُعقب لحكمه ولا يُسأل عمَّا يفعل سبحانه وتعالى.

ترجمة حياة السيد محمد المهدي السنوسي

ولد ليلة الأربعاء أول يوم من شهر ذي القعدة الحرام1260 هجري 12نوفمبر 1844 ميلادي. في الجبل الأخضر بقرية ماسَّة وأسماه والده أحمد بن إدريس على اسم أستاذه ثم في يومه السابع غير اسمه إلى محمد المهدي وسلمه لمرضعته الشريفة خضراء زوجة حسين الشريف وبعد أن أتم الرضاعة عندها أعادته إلى والدته وعندما سافر والده من الجبل الأخضر إلى الحجاز عام 1262 هجري 1844 ميلادي. بقي هو مع والدته وشقيقه السيد محمد الشريف يترددان ما بين زاويتي البيضاء ودرنة حتى بلغ السابعة من عمره وفي عام 1267 هجري 1851 ميلادي. طلبه والده فسافر بصحبة الرجل الصالح محمد بن إبراهيم الغماري الكبير أي كبير إخوته آل الغماري وكان سفره في مركب شراعي من بلدة درنة إلى بلدة خانية إحدى مواني جزيرة كريت اليونانية ومنها إلى الإسكندرية ثم توجه الركب إلى القاهرة براً ومن القاهرة إلى السويس ثم عبروا البحر إلى ينبع ثم إلى المدينة المنورة على الجِمال وهناك اجتمع بوالده وحج معه عام 1267 هجري وبعد ذلكم بعام قدمت والدته وشقيقه محمد الشريف إلى الحجاز وحجوا جميعاً مع والدهم ووالدتهم ثم في عام 1269 هجري 1851 ميلادي. رجع والده إلى برقة وبقي السيد المهدي مع والدته وشقيقه في الحجاز مترددين ما بين مكة والمدينة لفترة خمسة أعوام ثم في عام 1274 هجري 1858 ميلادي. طلبه والده إلى الجغبوب صحبة الشيخ عبد الرحيم المحبوب وبعدها بعام واحد قدمت والدته وشقيقه محمد الشريف من مكة إلى الجغبوب وتزوج هو وشقيقه فاتح عام 1276 هجري يوليو 1859 ميلادي. ثم تُوُفِّيَ والدهما في التاسع من شهر صفر 1276 هجري 7 سبتمبر 1859 ميلادي. وبقي هو وشقيقه بصحبة والدتهما بالجغبوب ثم جلس في مقام والده وقام بما كان يقوم به الوالد من أعمال إصلاحية ونشر للطريقة السنوسية حتى عام 1312 هجري1894 ميلادي.

وفاته

ثم رحل من الجغبوب إلى الكُفْرة وكان بدء الرحلة في 22شوال 1312هجري 18 إبريل 1895 ميلادي. ووصولها إلى الكفرة يوم الجمعة 15 ذي القعدة 1312 هجري 10 مايو 1895 ميلادي. حيث مكث بالكفرة أربعة أعوام ونصف ثم رحل منها إلى مقاطعة تشاد بالسودان " أفريقيا" وكان بدء الرحلة في شهر جمادي الثانية 1317 هجري أكتوبر 1899 ميلادي. ووصولها إلى بلدة قَرْوفي منتصف شهر رجب 1317 هجري. ومكث بها عامين ونصف حيث قام خلالها بمحاربة القوات الفرنسية وفي يوم الأحد23 صفر 1320 هجري1

يونيو 1902 ميلادي. كان على موعد مع القدر المحتوم ونقل جثمانه الطاهر على إثر ذلك إلى بلدة الكُفرة حيث مثواه الأخير.

نساؤه

تزوج الإمام محمد المهدي السنوسي ثمانية من النساء هُن: السيدة فاطمة العمرانية والسيدة عائشة الحدوثية والسيدة خديجة البوزيدية والسيدة فاطمة الحدوثية أيضاً والسيدة عائشة البوسيفية والسيدة فاطمة الغمارية والسيدة خيرية الخطابية والسيدة خديجة البوسيفية. ومن الأولاد ستة عشر مولوداً، ثمانية من الذكور وثمانية من الإناث عاش من الذكور فقط إثنان هما السيد محمد إدريس السنوسي ملك ليبيا وأخوه السيد محمد رضا ولي العهد الأول "والد السيد الحسن الرضا ولي العهد الثاني" ومن الإناث أربعة هن الأميرات السيدة صفية والسيدة نفيسة والسيدة فاطمة الحسنية والسيدة عاتكة والتي توفيت بعد والدها وقبل زواجها.

حليته

كان الإمام المهدي السنوسي مُدور الوجه واسع الجبين أزهر اللون إلى البياض أقرب، كث اللحية على خده الأيمن خال، ربعة إلى الطول أقرب، عرض الكتفين والمنكبين واسع الثغر مُفلج الثنايا أقنى الأنف أقرن الحاجبين أدعج العينين أزيل الفخذين أي فيها انفراج قليل، قليل الكلام خاشع قانت وفي لسانه شيء من الثقل وإذا أبطأ عليه الكلام ضرب بيده اليمنى على نخذه اليمن، لونه عربي أي أبيض مُشربٌ بحمرة، خُلُقُه نبوي يملأ عين من رآه هيبة ولا يستطيع من جالسه أن يُصَوِّب إليه نظره إلا خِلسة.

السيد محمد الشريف السنوسي

هو الابن الثاني للإمام محمد بن علي السنوسي، كانت ولادته عام 1262 هجري 1846 ميلادي. داخل الزاوية السنوسية في بلدة درنة، ودرنة بلدة صغيرة تقع على شاطئ البحر الأبيض كثيرة المياه والفواكه جميلة المنظر في منتصف الطريق بين طبرق والبيضاء وكان اسمها زمن العهد اليوناني دارنيس وقد تغير اسمها بعد الفتح الإسلامي وأصبحت تُسمى درنة وبها شهداء كثيرون من الصحابة رضوان الله عليهم، والمشهور منهم الأمير الشهيد زهير بن قيس البلوي الذي كان في وقته أميراً لبرقة وأفريقيا، وكان استشهاده عام 86 هجري.

نشأ السيد محمد الشريف في بلدة درنة ترعاه والدته وتعتني بتربيته هو وأخيه السيد محمد المهدي، وقد كان لجده لأمه السيد أحمد بن فرج الله الفيتوري دوراً إيجابياً في رعايته وتربيته وتوجيهه لأن والده تركه صغيراً جداً حيث سافر إلى الحجاز، وعندما بلغ السادسة من عمره بعث والده في طلبه عام 1268 هجري1852 ميلادي. فتوجه صحبة والدته وجده وكثير من

الإخوان يرأسهم السيد عمران بن بركة الفيتوري، وفي مكة أخذ علوم القرآن العظيم مع شقيقه محمد المهدي على الشيخين الجليلين محمد بن إبراهيم الغماري وأحمد البقالي، وفي عام 1269 هجري 1853 ميلادي. تركهم والدهم بمكة وعاد إلى برقة وعند وصوله إلى برقة نزل بزاوية العزيات وأمر بتأسيس زاوية الجغبوب وعند الانتهاء من التأسيس رحل إليها برفقة أتباعه عام 1273 هجري 1857- ميلادي. ثم بعث في طلب إبنه الكبير محمد المهدي أولاً ثم طلب حضور ابنه السيد محمد الشريف، وعند وصوله الجغبوب بدأ السيد محمد الشريف تلقي العلوم الشرعية على حضرات الشيوخ عمران بن بركة الفيتوري الزليتني الطرابلسي والشيخ أحمد بن عبد القادر الريفي والشيخ عبد الرحيم بن احمد المحبوب والشيخ محمد بن إبراهيم الغماري الصغير ثم رأى والدهما أن يزوجهما فعقد للسيد محمد الشريف ولشقيقه على كريمتي شيخهما البارك السيد عمران بن بركة الفيتوري وبعد هذا القِران بفترة قصيرة تُوفِي الوالد العظيم السيد محمد بن علي السنوسي.

نبوغ السيد محمد الشريف في العلم والتعليم

بقي الابن محمد الشريف وشقيقه محمد المهدي والذي قام مقام الوالد، واستمر الأخوان في أخذ العلم على الشيوخ الذين سبق ذكرهم حتى بلغا مبلغ الرجال بعدما نالا قسطاً عظيماً من العلوم المختلفة وبعد الانتهاء من الدراسة ألزم السيد محمد الشريف نفسه القيام بالتدريس في معهد الجغبوب حيث فتح الله عليه فتوحات خارقة حتى صار إماماً بارعاً في العلوم الدينية والعربية والأدبية فقصده طُلابُ العلم من كل حدبٍ وصوب وخاصة كبار الطلبة من الإخوان السنوسيين وتخرج عليه علماء أعلام فطاحلة كانوا يعتزون بانتسابهم إليه وأخذهم العلم عنه وهكذا أمضى حياته السعيدة بجلائل الأعمال فلم يترك التدريس بمعهد الجغبوب إلا في سنة وفاته.



أخر صورة لفقيد الإسلام
سيادة السيد أحمد الشريف السنوسي



وفاته

بعد العطاء المضني والمستمر للنفوس الكبيرة كما قال الشاعر:

وإذا كانت النفوس كبارا   تعُبت في مرادها الأجساد

اشتدت وطأة المرض على السيد محمد الشريف ومع ذلك لم تمنعه المعاناة من القيام بجميع الشؤون الداخلية والإدارية للحركة السنوسية من قريب أو بعيد حسبما خوله ذلك شقيقه الأكبر السيد محمد المهدي، فكان نائبه وخليفته في الجليل والحقير حتى وافاه الأجل المحتوم في

27 رمضان 1313 هجري 12مارس1896 ميلادي. رحمه الله تعالى ورضي عنه وأسكنه فسيح جناته في أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن ألائك رفيقاً.

زوجاته

توفي رضي الله عنه عن أربع زوجات هُن والدة المجاهد العظيم السيد أحمد الشريف والثانية والدة السيد محمد هلال والثالثة والدة السيد محمد صفي الدين والرابعة والدة السيد محمد عابد وشقيقه، وقد خلف من الأولاد الذكور خمسة هم: أحمد الشريف – محمد عابد – علي الخطابي – محمد هلال – محمد صفي الدين. ومن البنات ثلاثة هن: السيدة فاطمة السنيه والسيدة سُكينة والسيدة عائشة.

حليته

كان متوسط القامة أبيض اللون أدعج العينين سائل الخدين رقيق الحواجب بدين الجسم خفيف العارضين بهي المنظر وكان عالي الهمة يهوى المطالعة الكثيرة وقراءة الكتب النادرة كما كان قواماً صواماً رحمه الله وأسكنه أعالي الجنان آمين.

تم بحمد الله وعونه القسم الأول من كتاب الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية ويتبعه القسم الثاني .

الإهداء

إلى حضرات السادة النُبلاء وخُلاصة دوحة الشُرفاء مَنْ في كنف الله تعالى ثم كنف والدهم رُبيتُ، وبنعمة الله تعالى ثم بنعمته نشأت وغُذَيت. أُقَدم ما تيسر لي جمعه من سيرة والدهم العطرة وجهاده المُقدس تخليداً لذكراه وحفظاً لحقه وإشادة بمجهوداته رحمه الله ورضي عنه.

المؤلف

السيد أحمد الشريف السنوسي

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي جعل العلماء هداة الأمة وأزاح بشموس معارفهم ظُلم الجَهلِ المُدلَّهمة وقص علينا في كتابه العزيز من أخبار من تقدمنا من الأمم لنعتبر ونتدبر ونسلك السبيل الأقوم ونتذكر والصلاة والسلام على من رفع الله به عَلَمَ الإسلام وحلاَّهُ بمكارم الأخلاق وشرَّفه على سائر الأنام فجاهد في الله حق الجهاد وقاسى الشدائد في نشر كلمة لا إله إلاَّ الله بين العباد صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الذين قاموا بعده بنشر دينه وخاضوا لُجَّجَ الشدائد لبقاء عزته حتى عم دين الإسلام المعمورة وانتشر واعتلت كلمة لا إله إلا الله والله أكبر.

وبعد. فإني لما رأيت الحاجة ماسة إلى تدوين ما لا بد منه من سيرة البائع نفسه لله والمجاهد بماله ونفسه في سبيل الله حامل لواء الجهاد والحرية وبطل الحروب الليبية خادم الإسلام السيد أحمد الشريف السنوسي ورأيت غيري مِمَّن وجب عليهم حقه ورُبُوا في أسعد أيامه وفضله قد غفلوا أو تغافلوا عن أداء ما يوجب عليهم نحوه وإن كان التاريخ قد سجل له في النفوس ما هو جدير به إلا أن التسجيل للقراء على الصفحات الناصعة البيضاء أمر ضروري لا يختلف فيه إثنان لِمَا في ذلك من تقدير للرجال العاملين وإحياءً لذكراهم في كل مناسبة وذلك للاقتداء بسيرهم الحميدة وأعمالهم الخالدة المجيدة ثُم للعظة والذكرى وما في ذلك من قدوات في حياة الناس وما فيها من رجال عاملين قادهم إخلاصهم إلى رضوان ربهم وخدمة دينهم ووطنهم والإنسانية جمعاء. وللقيام بهذا الواجب الإنساني خامرتني فكرة إصدار ما أمكنني جمعه من سيرة بطلنا العظيم أحمد الشريف إلا أن هذه الفكرة بقيت تتردد في مُخَيِّلتي من حين لآخر مدة من الزمن فكنت ما بين إحجامٍ وإقدام لعِلمي بقصوري عن إدراك الكمال. غير أن الرسالة التي في عنقي والأمانة التي أصبحت أحملها دفعتني للتشمير عن الساعد لإظهار ما تيسر لي في هذا الكتيب المختصر ليكون نبراساً يُهْتَدَى به في شجاعة وصبر وتضحية ذلك العملاق الأشم والحق ما شهدت به الأعداء إلى آخر لحظة من حياته الحافلة بجلائل الخيرات فهو جدير بأن يُقال عنه:

هيهات لا يأت الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

ولعلَّني أكون قد قمت بعُشر معشار ما وجب عليَّ وعلى غيري من أفراد الشعب الليبي الكريم نحو بطل ليبيا ونخرها العظيم الذي جهله أكثر الناس أو تجاهلوا ما قام به من جهاد مضني وأعمال جليلة نسبوها لغيره !! وما السيد عمر المختار وغيره من قادة الجهاد الليبي إلا قطرة من

بحره أورمية من سهمه. والله يقول وهو أصدق القائلين ولا تَبْخَسُوا الناس أشياءهَم ويقول الرسول الأعظم سيدنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه من لم يشكر الناس لم يشكر الله.

لِمَا تقدم ذكره توكلت على الله واعتمدت عليه ثم أقدمت على إنجاز ما فكرت فيه. وها هوذا بين يديك أيها القارئ الكريم فما وجدت من تقصير أو سوء تعبير فبكمالك أُكَمله وما ظهر لك من خطأٍ فأنا أهله ومحله واستغفر الله منه، وهي بضاعة ولا شك مرضية لدى أرباب العقول السليمة والأفكار الصائبة والقلوب الحكيمة وإن رائدي له وحافزي عليه هو الإخلاص تقديراً لعمل العاملين وإشادة بذكرى القادة المُخلصين. والله من وراء القصد وعليه المعول والمعتمد.

ترجمة حياة رئيس المجاهدين السيد أحمد الشريف السنوسي

نسبه: هو العالم العامل والسيد الكامل قدوة العاملين وبقية السلف الصالحين مُحْي سُنَّةَ الجهاد وخُلاصة عترة خير العِباد السيد أحمد بن محمد الشريف بن محمد بن علي السنوسي الخطابي الإدريسي الحَسَنِي.

ولادته: كانت ولادته المباركة عام 1290 هجري - 1873 ميلادي. في واحة الجغبوب، المركز الروحي الأول للحركة السنوسية، والواقعة جنوب شرق مدينة طبرق في آخر حدود ليبيا الشرقية المتاخمة للحدود المصرية وبالقرب من واحة سيوة المشهورة.

نشأته: تربى رحمه الله ونشأ في حجر والده السيد محمد الشريف السنوسي، وحينما ترعرع وبلغ السادسة من عمره دخل تحت كنف عمه السيد محمد المهدي ، حيث بدأ في تعلم القرآن وحفظه على يد أستاذه الأول الإمام ممد المهدي حتى حفظ جزءً كبيراً منه ، ثم أمر عمه أن يُتم حفظ القرآن على شيخ الجغبوب وإمامه في وقته وأحد تلاميذ جده السيد محمد بن مصطفى المدني التِلْمِساني فكان يعرض ما يكتبه على اللوح قراءة ً أمام عمه فإذا أجازه ذهب إلى أستاذه المدني ليحفظ على يديه، وهكذا حتى أتَّمَ حفظه وإتقانه وحتى قال له الإمام محمد المهدي: أنت ما أخذت القرآن إلا عني. ولذلك كان رحمه الله يفتخر ويعتز بهذه الميزة العظيمة التي لم يشاركه فيها غيره. كما كان إبَّان حفظه للقرآن يعرض يومياً ما يتلقاه على والده السيد محمد الشريف وعلى شيخه السيد أحمد بن عبد القادر الريفي رحمة الله عليهم أجمعين.

شيوخه: بعد إتقانه للقرآن حفظاً وتلاوة، بدأ يتلقى سائر العلوم على الشيخين الجليلين جده لأمه السيد عمران بن بركة الفيتوري والسيد أحمد عبد القادر الريفي ولم ينقطع عن طلب العلم على يد "الأب الروحي" شيخه محمد المهدي السنوسي حيث لازمه حتى عام 1312 هجري 1894 ميلادي.

رحلته مع عمه ووالده من الجغبوب إلى الكُفْرَةِ

رافق السيد أحمد الشريف والده وعمه إلى بلدة الكُفْرَةِ جنوب برقة عام 1312 هجري 1894 ميلادي. وفارق شيخه أحمد الريفي لبقائه خليفة في الجغبوب. أمَّا شيخه وجده لأمه عمران بن بركة الفيتوري فقد تُوفِيَ قبل الرحلة بسنتين رحمه الله تعالى.

ومنذ بلوغه الخامسة عشرة من عمره، كان السيد أحمد الشريف هو اليد اليمنى العاملة والفاعلة في بيتي والده وعمه، فقد كان رسول عمه والمبلغ عنه أوامره لإخوانه وزواره، كما كان أيضاً الساعد الأيمن لأبيه في الجليل والصغير من الأمور خاصَّة عندما بدأت صحة والده في التدهور.

وعندما تهيأ السيد أحمد الشريف للرحلة من الجغبوب إلى الكُفرة، كان قد بلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً، وكان يحمل على عاتقه متاعب ومشاق هذه الرحلة الجامعة لما ينوف عن ألفين وستمائة 2600 شخصا ما بين كبار وصغار وذكور وإناث، وما تتطلبه هذه الجموع العظيمة من أسباب الراحة والإدارة ولوازم الإعاشة والسكن إلى غير ذلك من الأمور التي يعجز عنها عظام القادة العسكريين ، فكان يتلقى الأوامر من عمه ووالده ويقوم هو بدوره بإبلاغها إلى حضرات الإخوان المختصين وتوزيع الأعمال كل حسب اختصاصه. ولقد دامت هذه الرحلة قرابة ثلاثة أشهر قُطعت خلالها أكثر من ألفٍ وثلاثمائة 1300 كيلوا متراً في صحراء قاحلة لا ماء فيها ولا مأوى إلا ما كان على ظهور الإبل البالغ عددها ثلاثة آلاف جملاً.

وهكذا نشأ السيد أحمد الشريف السنوسي وتربى على تحمل المشاق والمسئوليات العظام، ولم يعرف الركون للراحة يوماً ما طيلة حياته الحافلة والمليئة بالمخاطر والأمور التي تشيب لها نواصي الرواحل من الرجال.

فبعد أن تمت الرحلة ووصلت الكُفرة واستقرت أياماً قلائل، اشتد الألم بوالده الذي ترك أهله وأولاده في الجغبوب ورافق شقيقه السيد محمد المهدي والذي كان يرى فيه القدوة والمُربي والشيخ والوالد لا كشقيق فقط، والسيد محمد الشريف هوذاك العالم العامل والسيد الكامل قدوة الصالحين وإمام العلماء العاملين إذ كان رحمه الله بحراً زاخراً بعلومه وموردا عذبا سائغاً لمن أتاه راغبا في النهل من سلسبيل علومه ومعارفه، قضى حياته السعيدة في طلب العلم ونشره

واقتدى بسيرة أجداده وسلفه فكان كعبة طلاب العلم، ولم يمنعه هذا كله من أن يكون لشقيقه كالابن البار الرحيم.

عودة والده السيد محمد الشريف إلى الجغبوب ووفاته بها

استأذن السيد محمد الشريف من أخيه وشقيقه محمد المهدي في العودة إلى الجغبوب فأذن له بعد تردد كثيرٍ لما في ذلك من فراق أخوين حبيبين قد تربيا وعاشا مدة نصف قرنٍ كامل لم يذوقا طعم الفراق بينهما والبعد عن بعضهما ولو يوماً واحداً. لكن المقادير إذا حان أوانها فإنها تجري بأمر الله بحسب قضائه وقدره سبحانه.



عزم السيد محمد الشريف أمره للعودة ورتب لوازم رحلة عودته ، فكان ليوم خروجه من الكفرة لوعة قاسية حيث غادر الكُفرة في اليوم الثالث عشر من شهر صفر 1313 هجري 5 أغسطس 1895 ميلادي. وفي رفقته ابنه البار صاحب الترجمة السيد أحمد الشريف مدة ثلاثة أيام، وقد اشتدت وطأة الآلام بالسيد محمد الشريف إلى درجة أن ابنه وعموم الإخوان الذين كانوا مرافقين لسيادته قرروا العودة به إلى الكُفْرة لشدة ما رأوا من تدهورٍ لحالته الصحية، غير أنه رحمه الله لم يركن إلى هذا القرار واعتزم موالاة السفر توكلاً واعتماداً على الله تعالى.

ولعلمه بحاجة شقيقه السيد محمد المهدي إلى ابنه البار المرافق له السيد أحمد الشريف أمره بالعودة لخدمة عمه محمد المهدي وشد أزره مؤثراً أخيه على نفسه، فما كان من السيد أحمد الشريف إلا أن لبَّى رغبة واله بامتثال أمره وتقدم لوداعه الأخير باكيَ العين حزين القلب جريح الفؤاد.

عاد إلى عمه وقام بما كان يقوم به والده من إدارة كافة الأعمال الرحلة ومتعلقاتها وبقي قرابة عام على تلك الحالة حتى أول عام 1314 هجري يونيو1896 ميلادي. حيث حضر إخوانه ووالدتهم بعد وفاة والده رحمه الله في الجغبوب في 27 رمضان 1313 هجري 12 مارس 1896ميلادي. وكان يرأس القادمين شيخه السيد أحمد الريفي، وبعد وصول هذا الوفد للكفرة خفَّت المسئولية عن السيد أحمد الشريف نوعاً ما.

زيارته لوالده وجده في الجغبوب

كان تأثره لوفاة والده عظيماً جداً، ولذلك التمس من عمه الإمام محمد المهدي الإذن له بزيارة والده وجده السيد محمد بن علي السنوسي، فأذن له وتوجه إلى الجغبوب وبعد تمام الزيارة قفل راجعاً، وبعد عودته شرع ثانياً في تلقي العلوم على شيخه السيد أحمد الريفي.

رحلته مع عمه الإمام محمد المهدي إلى قرو بالسودان

غير أن المدة لم تطل للإمام السيد محمد المهدي في الكُفرة ولم يقم بها سوى أربعة أعوام ونصف بداية عام 1313 هجري 1895 ميلادي. وفي النصف الأخير من عام 1317 هجري 1900 ميلادي. رحل الإمام محمد المهدي عن بلدة الكُفرة بأتباعه وعوائله جميعاً إلى جهة الجنوب حيث دامت الرحلة مدة شهرين تقريباً حتى وصل الركب بلدة قَرْو في منطقة برقو إحدى مقاطعات تشاد التابعة للسودان الفرنسي، وفي قرو توجد زاوية للسادة السنوسية كما توجد في السودان الفرنسي عدة زوايا في الأماكن التالية: وادي كلك - أرضا - علالي - وجنقة الكبرى - وجنقة الصغرى وغيرها، وبعد وصول السيد المهدي إلى قرو استقر بها وانتشرت دعاته في مختلف مدن السودان انتشرت تعاليم الدين الإسلامي حيث كانت الوثنية ضاربة أطنابها في عموم أنحاء السودان إلاَّ ما قل، ولذلك كانت فرنسا مرتاحة لحالة السودان، لكن لما قدم الإمام السيد المهدي وبدأ في الدعوة إلى الله وهبَّ السودانيون لامتثال دعوته واعتناق الديانة الإسلامية فزعت هناك فرنسا وجندت جيوشها الجرارة وبدأت تتتبع السنوسيين بإعلان الحرب عليهم في تلكم الجهات، فقابلهم الإمام المهدي بالمثل ونشبت الحرب واشتد أوارها بين الفريقين، ووقف السودانيون إلى جانب السنوسيين وكان بدء القتال سنة 1319 هجري بالمكان المُسمى علالى حيث توجهت إليها من فرلمي الحملة الفرنسية المكونة من المشاة والهجانة والتي كان ينوف تعدادها عن الثلاثة آلاف مقاتل مزودين بالسلاح والمعدات الحديثة فدافع الإخوان السنوسيون في علالي دفاع الأبطال وصدوا هذه الحملة تاركة وراءها أشلاء الموتى وجثثهم. ثم عاود الفرنسيون الكرة بعد الفرة وعادت قواتهم ثانية إلى علالي ودارت رحى الحرب وأسفرت المعركة أيضاً عن هزيمة الفرنسيين واستشهد في المعركتين من أبتاع السنوسيين ما يزيد عن المائتين شهيداً ومن الفرنسيين ما ينوف عن الخمسمائة قتيل بينهم خمسة وعشرين 25 ضابطاً برتبٍ مختلفة، وعادت الحملة الفرنسية كرات كثيرة وعمت الحرب أنحاء السودان الفرنسي وتوالت النجدات إلى المجاهدين من برقة، وفي هذه الأثناء مرض الإمام المهدي حيث أصابه ألمٌ يشبه الحُمى فكان يخف أحياناً ويشتد أحياناً مع ملازمة الإسهال الشديد لسيادته. وهكذا دامت حالته ما يقرب العشرين يوماً ثم ما قدره الله له وأراده والأمر بيد الله يفعل في ملكه ما يشاء ويحكم ما يريد ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، فسبحانه من إله عظيم قادر رحيم يحي ويميت وهو حي دائمٌ أبدا لا يموت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شيء قدير.

قيام السيد أحمد الشريف بالأمر بعد عمه

نعود إلى الوراء قليلاً لنعرف منطلقات الدعوة السنوسية من أول لحظة ومن أول يوم. لقد قام السيد محمد بن علي السنوسي بالدعوة إلى الله والدلالة عليه والحض على العمل بكتاب الله والتمسك بما صح من سنة رسوله السمحة دون غلو أو تفريط وذلك بتحري أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم من خلال ما أثبتته الروايات الصحيحة سواء كان ذلك عند السادة المالكية أو الشافعية أو الحنابلة أو الأحناف، هذا مع كون مذهبه مالكي. وكان ابن السنوسي يقول دائماً: "مذهبنا مالكي ونعمل بالحديث" وكان خلاف المالكية يتعوذ ويجهر بالبسملة مع الفاتحة والسورة، ويؤّمِن ويرفع يديه عند الركوع والرفع منه، ويرفع يديه كذلك أثناء دعاء القنوت ويُسلم على الجهتين بعد التشهد الأخير؛ يفعل ذلك كله لثبوت فعله - صلى الله عليه وسلم - لها. كان ذلك دأب الإمام السنوسي الكبير وتصدر للفتوى وأوقف نفسه لله تعالى آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر نافعاً للعباد مرشداً لهم إلى الطريق المستقيم حاضاً على الأعمال المرضية لرب العباد والنافعة لهم. فسخر الله له القلوب ببركة حُسن نيته وإخلاصه في عمله وتعلق به مريد والخير ومحبوه، ولمس فيه الخاصة والعامة النفع بالله تعالى فلزموا غرزه واقتدوا بأفعاله وصاروا رهناً لإشارته وبادروا بتنفيذ أوامره المفيدة والمحددة فيما يختص بنفعهم في شؤون الدين والدنيا؛ وكان ذلك كله بتوفيق من المولى سبحانه وعونه وما تشاءون إلا أن يشاء الله وكان رحمه الله ممن نور الله بصائرهم وفتح عليهم. وكان يُكثر من ذكر تسلط الأعداء وكثرة الأهواء، ومما كان يحذر منه استيلاء حكومة النابلطان بلغته أي الطليان على طرابلس الغرب وبرقة وفزان والجبل الأخضر ويذكر بعض القبائل قائلاً: إن آل فلان يصدقون وآل فلان يوالون العد وإلى غير ذلك من الإلهامات التي ظهرت عياناً كظهور الشمس في رابعة النهار بعد مرور ما يزيد عن خمسين سنة من ذكره لها وقبل وقوعها؛ ومن هنا تشبعت نفوس الليبيين بروح المقاومة والعداء للإيطاليين قبل معرفتهم واستعدوا لمواجهة تلك الوقائع، وكان السيد محمد بن علي السنوسي يذكر في إشاراته حصول النصر والفرج بعد تلك الشدة ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله والحقيقة التي لا ينكرها السنوسيون وأتباعهم أن الجهاد ومقاومة السنوسيين للطليان مدة تزيد عن ربع قرن كان سببها الحقيقي تلكم الروح التي أذكاها السيد محمد بن علي السنوسي في نفوسهم والأمور التي أخبر بها والفرّج الذي بشر به. لذلك ومما تقدم يتضح للقارئ الكريم أن الحركة السنوسية لم تقم بحد السيف ولم تكسب القلوب بالدرهم والدينار أو بالحيلة وإنما قامت على الدعوة لله وحده والنصح لعباده والسعي إلى السعادة والإنقاذ من الجهالة والانحراف. فكانوا يبنون المساجد ويوفرون المعلمين لأبناء البلد ويسعون للألفة بين الناس ونبذ

الضغائن والشقاق يعلمون المواطنين أمور دينهم التي يتعبدون بها الله على بصيرة ولا يسألونهم على ذلك أجراً وبذلك عم النفع وحصلت الفائدة واجتمعت الكلمة وتآلفت القلوب. دام على ذلك الإمام محمد بن علي السنوسي مدة حياته وتابعه علماء جهابذة تخرجوا من مدرسته وتشبعوا بروحه وسلكوا طريقه وبايعوه على الإستماتة في سبيل مواصلة دعوته؛ فلما تُوفي اجتمع هؤلاء الجهابذة الأعلام وقرروا الالتفاف حول السيدين الصغيرين فشبا على الكمال والاستقامة وسلكا مسلك والدهما وطريقه. ولما قدر الله وفاة السيد محمد الشريف ثم بعده بثمان سنوات لحقه شقيقه السيد محمد المهدي، أصبح السيد أحمد الشريف الشخص الوحيد من العائلة السنوسية لوراثة مسؤولية عمه وذلك لأنه تشرف بخدمته وملازمته مدة تزيد عن العشرين عاماً تشبع خلالها بمبادئه السامية وتخلق بأخلاقه العالية واطلع على بواطن أمره وظواهره حتى أصبح نسخة منه إذ أجازه عمه بكل ما يصح له وعنه حسب القانون المُتبع عند الشيوخ فقام بالأمر أتم قيام وسير الأعمال على حسب ما يُرام، سلك مسك واله وعنه فلم يستبد بسلطته ورأيه بل اتخذ شيخه وشيخ واله وعنه السيد أحمد الريفي قدوته ومرجعه في كل جليل وحقير وملّكه زمام أمره فلا يصدر إلا عن رأيه ولا يعمل إلا بمشورته وموافقته مع حُنوه وعطفه على إخوانه وبني عمه وتفق أحوال الكبير والصغير أما فيما يخص الشأن الخارجي وخاصة الحرب والجهاد ضد فرنسا فإنه لم يحد عن خطة عمه التي رسمها لهم، بل زاد بهمته وعزيمته فكان يرسل الإمدادات الواحدة تلو الأخرى وكلما بان خللٌ في ناحية بادر إلى تداركه وسده وكما تقد كانت أموره كلها لا تصدر إلا عن مشورة شيخه أحمد الريفي وبأمره، وهكذا دامت الحالة زيادة عن العام في قرو بعد وفاة السيد المهدي.

رجوع السيد أحمد الشريف إلى الكفرة

بعد التشاور مع الشيخ أحمد الريفي وإخوانه السادة السنوسية والإخوان، قرر السيد أحمد الشريف العودة برفقة العائلات إلى الكُفْرَة نظراً لتصاعد وتيرة الحرب بين الليبيين والفرنسيين، وقد أختار السيد أحمد الشريف الشيخ محمد السني أحد كبار الإخوان السنوسيين شيخاً على زاوية قرو بتشاد ليكون نائباً عنه في إدارة أمور الجهاد؛ وقد ظل السيد أحمد الريفي فترة بسيطة بعد ارتحال العائلات قم لحقهم حاملاً معه تابوت الإمام محمد المهدي السنوسي وكذلك تابوت ابنه محمد الريفي والذي توفي بمنطقة قرو أيضا وكان وصوله الكفرة عام 1321 هجري 1903 ميلادي. وبعد وصوله بالتابوتين أمر بدفن ابنه محمد أحمد الريفي في مقابر المسلمين؛ أما جثمان الإمام محمد المهدي فقد اختاروا له ركناً في المسجد ليكون مثواه الأخير وعملت له مقصورة مخصوصة ورتبوا له أميناً وقيماً خاصاً.

أما السيد أحمد الشريف فقد استأنف نشاطه ليل نهار وأخذ في إرسال الإمدادات والمؤن والأسلحة إلى المجاهدين بتشاد طيلة ثمانية أعوام حتى آخر عام 1329 هجري 1911 ميلادي.

وفاة السيد أحمد عبد القادر الريفي

لقد كان السيد أحمد عبد القادر الريفي هو الإمام والمستشار الخاص للسيد أحمد الشريف السنوسي ومرجعه في كل صغيرة وكبيرة ؛ حتى كان شهر رمضان من هذه السنة حيث اختار المولى - سبحانه وتعالى – الشيخ أحمد الريفي إلى جواره، ففقد السيد احمد الشريف والسادة السنوسيون وإخوانهم وعموم الأتباع وأهل الوطن تلك الشخصية الفذة المحبوبة النزيهة المباركة مرجع الكل وبقية الإخوان السنوسيين الذين كرسوا حياتهم وأوقفوها على خدمة الحركة السنوسية، والسيد أحمد الريفي هوذاك الشخص الوحيد الذي خدم الحركة السنوسية في أدوارها الثلاثة أي مدة مؤسس الدعوة السنوسية الإمام العظيم شيخه السيد محمد بن علي السنوسي. ثم الدور الثاني وهو مدة الإمام السيد محمد المهدي وشقيقه السيد محمد الشريف. ثم الدور الثالث وهو دور قيام السيد أحمد الشريف وتفره بالزعامة، وقد قضى السيد أحمد الريفي فترة زمنية تزيد على ستة وستين عاماً في المشاركة في إدارة دفة الأعمال إي منذ تاريخ انتسابه والتحاقه بالإمام محمد بن علي السنوسي عام 1263 هجري - إلى وفاته يوم 9 رمضان 1329 هجري سبتمبر 1911 ميلادي. رحمه الله ورضي عنه وأثابه على جليل أعماله ونفعه للمسلمين خير الجزاء وانزله أعلى درجات الجنان بجوار سيد ولد عدنان آمين. ولقد كانت وفاته صدمة ونكبة وخاصة على الخليفة السيد أحمد الشريف لأنه كان ملجأه عند المعضلات ، كما كان أباً ومرجعاً لعموم أفراد العائلة السنوسية ولعموم الإخوان السنوسيين وأتباعهم، وكان الجميع لا يخالفون له أمراً ولا يعارضون له رأياً إذ كانوا ينظرون إليه بعين التجِلَة والإكبار، وكان بحق إماماً كاملاً في مختلف العلوم العقلية والنقلية وحجة زمانه ولقد اشتهر بين الجميع بعلو القدر والمكانة وكرم الأخلاق وسعة الاطلاع ورحابة الصدر ولين الطبع مع صلابة في الحق، وباختصار كان رحمة شاملة ونعمة عامة تغشاه الله برحمته الواسعة.

اعتداء إيطاليا على ليبيا

عقب وفاة السيد أحمد الريفي مباشرة اعتدت إيطاليا الآثمة على ليبيا ولذلك فزع أهل برقة والإخوان السنوسيون إلى السادة السنوسية بواحة الكُفرة ليقفوا على رأيهم ويمتثلوا أمرهم بالمقاومة أو عدمها، فجمع الخليفة السيد أحمد الشريف جميع السادة السنوسية وعرض عليهم الأمر مستشيراً في المقاومة أو عدمها فكان الرأي بالإجماع هو"عدم المقاومة" لأنهم كانوا متعبين وخرجوا مرهقين من حربهم مع قوات فرنسا، وليس بأيديهم عدة حربٍ يقاومون بها، وقالوا

"هذه دولة أوروبية قوية بمعداتها العظيمة وجيوشها الجرارة، وما دام أن تركيا بعظمتها قد عجزت عن مقاومتها والوقوف في وجهها فأنى لنا الصمود والمواجهة "!

نعم إن ما ذكره السادة السنوسيون هو عين الحقيقة والواقع لأنهم كانوا مرهقين من حرب فرنسا في السودان ومتعبين من الرحلات والتنقلات في الصحارى القاحلة مع خلو أيديهم من مستلزمات الحرب؛ غير أن السيد أحمد الشريف القوي الإيمان بالله لم يُرق له هذا الرأي فاشتط غضباً وقال كلمته المشهورة والله نحاربهم ولو لوحدي بعصاتي هذه فنزل الجميع عند رأيه الصائب.

أسدٌ دم الأسد الهزبر خضابه   موتٌ فريص الموت منع ترَّعدُ

عزم القائد أحمد الشريف على الجهاد [6]

انفض المجلس وقد خرج منه السيد أحمد الشريف معلناً عزمه على الجهاد ومقاومة العدو المعتدي مهما كلفه الثمن وكيفما تكون العاقبة مادام أن الواجب يحتم عليه الذب عن الدين الحنيف أولاً ثم عن الوطن ثانياً ثم ثالثاً عن النفس والعرض والمال. فأصدر أوامره الشديدة إلى عموم شيوخ الزوايا السنوسية وحثهم على القيام بالجهاد والوقوف في وجه العدو الصائل بأي وسيلة كانت وبأنه سوف يلتحق بهم شخصياً وحذَّر وتبرأ من كل من يتخلف عن داعي الجهاد ومن كل من يمالئ العدو أو يركن إليه. ومن الصدف أن المجاهد عمر المختار شيخ زاوية القُصور بالجبل الأخضر وبطل الجهاد فيما بعد كان حاضراً بالكُفرة مع بعض الإخوان فتسلم بعض هذه الأوامر وعاد بها مُسرعاً إلى برقة والجبل الأخضر ومن هناك تم توزيعها وبعد ذلك تشكلت المعسكرات في مناطق برقة والجبل الأخضر. وعلى إثر ذلك قام الإخوان السنوسيون بتزعم حركة الجهاد في مناطق بنغازي والجبل الأخضر وطبرق ودرنة وهم كثيرون ونذكر منهم:

معسكرات برقة والحبل الأخضر:

---

[6] * في كتابه القيم جهاد الأبطال في طرابلس الغرب تعرض مفتي ليبيا الأسبق الشيخ الطاهر الزاوي رحمه الله لصفحة نيرة ساطعة لدور أبطال ليبيا وجهادهم ضد الغزوالإيطالي لليبيا في المنطقة الغربية من سرت حتى رأس جدير. وإن كان مؤلف كتاب الفوائد الجلية الشيخ عبد المالك عبد القادر بن علي لم يتعرض لجهاد المنطقة الغربية.. فإن عذره أنه كان راوياً ومؤرخاً لتاريخ العائلة السنوسية خاصة أن رواياته جاءت مشافهة من طريق شيخه أحمد الشريف السنوسي والذي كان يشغل جغرافياً المنطقة الشرقية من القطر الليبي، وإن كان ذلك لم يشغل القائد المجاهد أحمد الشريف السنوسي عن الدفاع عن كل شبر من أرض الوطن... ولقد كان لسان حال المؤلف عبد القادر بن علي من قبيل ما شهدنا بما علمنا. ويجدر بنا ونحن نحمل أمانة التوثيق التاريخي العلمي لحقبة تاريخية مشرفة لوطننا العزيز، يجدر بنا أن نترفع عما يبدر من بعض الأقلام والتي تشيد بتاريخ منطقة دون أخرى.. فلا يستطيع أحد أن ينكر أن لواء الجهاد الليبي ضد العدوالصائل الإيطالي قد رفرف عالياً في سماء ليبيا من رأس جدير غرباً حتى أمساعد شرقاً ومن الكفرة جنوباً حتى سواحل ليبيا شمالاً. وإذا جمعنا - جهود الشيخ الطاهر الزاوي في كتابه جهاد الأبطال في طرابلس الغرب وجهود الشيخ عبد المالك بن علي في هذا الكتاب الذي نحن بصدد تصنيفه وتهذيبه - أشرقت علينا شمس الحقيقة كاملة ساطعة مبددة دياجير النعرات الإقليمية.

السيد أحمد العياري، الشيخ عبد الله الأشهب، الشيخ محمد عبد المولى، السيد الحسن الغماري، الشيخ عمران السكوري، السيد التواتي الكليلي، الشيخ محمد علي المحجوب، السيد محمد الزروالي، السيد محمد علي الغماري، الشيخ محمد بونجوى، الشيخ عمر المختار.

معسكرات درنة:

الشيخ محمد الدردفي، الشيخ محمد حسين الحلافي، الشيخ صالح بن إسماعيل، السيد محمد العربي، السيد عبد القادر فركاش، الشيخ عبد الله يوسف، السيد العلمي الغماري، السيد محمد الغزالي، الشيخ الحبيب بن جلوا، الشيخ المرتضى فركاش، السيد محمد العيساوي، السيد السنوسي الغماري، الشيخ جاد الله الجبالي، الشيخ محمد بوفارس، الشيخ محمد بن عمور، السيد عبد الله سعد فركاش.

معسكرات طبرق:

السيد محمد الشارف، السيد محمد بن عبد الله، السيد المرتضى الغرياني، السيد صالح الشريف وآخرون.

بدأت المعارك ودارت رحى الحرب وثارت حفائظ وحمية القبائل العربية الأبية وتعاقدوا وتعاهدوا على الإستماتة في سبيل الدفاع عن وطنهم الغالي متناسين كل ما كان بينهم من التشاحن والتباغض وإراقة الدماء. ولما شاعت أخبار المقاومة والجهاد ودفاع عموم أهل ليبيا عن حمى دينهم ووطنهم؛ بادرت الحكومة العثمانية بإرسال بعض رجالها المحنكين لتقوية روح المقاومة والدفاع وتدريب المجاهدين وتعليمهم كيفية استعمال الأسلحة الحديثة ومعداتها.

كما بادرت الحكومة العثمانية وبعض المدن الإسلامية والشخصيات العربية بإرسال بعض المساعدات المادية والأدوات الطبية، وكان أبرز شخصية بعثت بها الحكومة العثمانية للقيام بدور المساندة والدعم هوذاك البطل المقدام أنور باشا يصحبه جملة من الضباط من بينهم مصطفى كمال المعروف بأتاتورك فيما بعد وعزيز علي المصري وأدهم باشا الحلبي وآخرين وعند وصولهم إلى أدوار المجاهدين معسكرات الجهاد وجدوها على أتم الاستعداد، وبعد استشارة السيد حمد الشريف وأخذ رأيه تمت الموافقة على أن يكون أنور باشا هو القائد العام ومركزه في جبهة مدينة درنة ويساعده في ذلك مصطفى كمال وأن يتولى عزيز علي المصري قيادة منطقة بنغازي وبرقة؛ أما منطقة طبرق فقد أوكلت إلى أدهم باشا الحلبي. وبذلك رُتِبَت المعسكرات ترتيباً إدارياً وعسكرياً تحت إشراف قادة المناطق ومجالس من حضرات الإخوان السنوسيين وشيوخ العرب؛ واشتدت حركة الجهاد واستمرت المقاومة على الصفة المتقدمة، وبدأ المجاهدون من القبائل العربية الحرة يحضرون أسلحتهم وخيولهم وأرزاقهم ومضاربهم وخدمهم من عندهم

"أي أن كل قبيلة تنتدب من بين أفرادها من يأتون إلى ساحة الجهاد ويزودونهم بما يلزم من أسلحة ومؤنٍ وعتاد" وبعد مرور ستة أشهر يستبدل هؤلاء بآخرين، وهكذا دامت حركة الجهاد في ليبيا طيلة الحروب الإيطالية التي استمرت أكثر من ربع قرن على هذه الكيفية التي لم يسبقهم إليها أحد. وأغرب من ذلك كله أن ليبيا كانت في معزلٍ عن العالم الخارجي بحيث أن إيطاليا الغاشمة الظالمة كانت قد سدت جميع طرق المواصلات من وإلى أرض الوطن ، فلا يُسمع لنا صوت ويقف العالم على حقيقة ما يجري على أرض الوطن إلا من خلال إيطاليا التي تذيع أخبارها على حسب ما تريد وكيفما تريد! ولذلك لم تلق ليبيا أي عطفٍ أو نجدةٍ من بعد السنة الأولى للغزو عدا الصحافة العربية المصرية وبعض الكتّاب المصريين الذين كثيراً ما استصرخوا العالم الإسلامي عامة والمصري خاصة، لكن مع الأسف دون جدوى حيث لم يسمع لهم أحد لأن حكومة مصر حينذاك والحاكم المصري عباس حلمي باشا الثاني كانوا يعاونون إيطاليا ويجاملونها على حساب الشعب الليبي وكانوا يقولون الدولة المصرية محايدة وكانت إيطاليا تنتهك الحرمات الدينية المقدسة وتعبث بالنفوس البريئة التقية وتعتدي على الأعراض الكريمة المصونة العفيفة يستوي عندها في ذلك المحارب والعالم وتفننت فيه كل ذلك جرى من إيطاليا دون إنكار عليها من أحدٍ سواء في ذلك المسلمون والدول المعظمة النصرانية الذين يَدَّعون المدنية ويقولون بالحرية واحترام حقوق الإنسان وحرية المقدسات وكل هذه الادعاءات هراء، وهذا بعكس الوقت الحاضر، فما من صغيرة أو كبيرة تقع في بلد من البلدان إلا تُشاع وتذاع وتتوالى من أجلها الاجتماعات والاحتجاجات. ومن هنا يتبين لنا أن ما قاسته ليبيا لم يقاسه أحدٌ ولقد قامت بجهادٍ لم يسبقها إليه أحدٌ عدا القرون الأولى من صدر الإسلام.

مراجع كتاب تاريخ العائلة السنوسية:

1 - المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب - أحمد بيك النائب
2 - تاريخ ابن غلبون - أحمد محمد بن غلبون الوائلي
3 - المدخل إلى تاريخ المغرب - السيد عبد الله بن كنون
4 - السلسبيل المعين في الطرائف الأربعين - محمد بن علي السنوسي
5 - الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية - محمد بن علي السنوسي
6 - حُسن الوفاء لإخوان الصفا - محمد فالح الظاهري
7 - الرحلة الحجازية محمد لبيب البتنوني
8 - عنوان المجد في تاريخ نجد عثمان بن بشر النجدي
9 - البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب - أحمد علي عبد القادر المقريزي
10- شفاء الغرام بأخبار بلد الله الحرام - محمد أحمد علي الفاسي المكي
11- قلب الجزيرة العربية - فؤاد حمزة
12- الدولة الإسلامية - عبد الحميد العبادي وأحمد العدوي
13- ملوك العرب - أمين الريحاني
14- في ربوع عسير - عمر رفيع
15- تاريخ العالم العربي في العصر الحديث - د. أحمد عزت أبوالفتوح وعبد الحميد البطريقي
16- تاريخ المخلاف السليماني - محمد أحمد عيسى العقيلي
17- حاضر العالم الإسلامي -الأمير شكيب أرسلان
18- تُحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان الشريف حمدون بن محمد الطاهري الجوطي الحسيني
19- الكوكب الأسعد في مناقب سيدي علي بن أحمد - محمد محمد حمزة المكاسي
20- اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة - محمد البشير ظافر المدني
21- مرآة الحرمين - إبراهيم رفعت
22- درة المفاخر - محمد الطيب القادري الحسني
23- الدُر السَني في النسب الحَسَني - عبد السلام القادري الحَسَني
24- الدرة البهية والجواهر النبوية - إدريس أحمد العلوي الحسني
25- دُرَّةُ التيجان - محمد عبد الرحمن الولائي
26- الرحلة الحجازية - عبد الله القديدي

27- تاريخ طرابلس الغرب باللغة التركية – محمد نوري ومحمود ناجي
28- تاريخ مكة – أحمد السباعي
29- السنوسية دينٌ ودولة – دكتور محمد فؤاد شكري
30- صحراء ليبيا – أحمد حسنين باشا
31- مذكرات الشيخ محمد صادق البكري الطائفي – محمد بن صادق البكري شيخ زوايا الجريد بتونس
32- مكاتبات خطية إلى بعض الإخوان والمريدين من السيد محمد بن علي السنوسي
33- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين – إسماعيل باشا البغدادي
34- صحائف العامل بالشرع الكامل – الشيخ فالح بن محمد المهنوي الظاهري المدني
35- قلائد الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزمان – أبوالعباس أحمد علي القلقشندي
36- نُزهةُ العيون وفرحة القلب المحزون – إسحاق المسعودي
37- الدُر النفيس في مناقب الإمام أحمد بن إدريس – أحمد بن عبد الحي الحلبي